

محمد الرابع الحسني الندوى

تاريخ الأدب العربي

[- - - العصر الإسلامي - - -]

مؤسسة الصدقة و النشر

ص-ب ٩٣، ندوة العلماء ، لكهنو (الهند)

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

١٤١٩ - ١٩٩٨ م

طبع في مطبعة

لـ **لكنھو** لـ **ڪمڀُونج ڀيالشڪ هاؤس،**

كلمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين . والصلوة والسلام على خاتم المرسلين سيدنا
ومولانا محمد و على آله وصحبه أجمعين . وبعد
فهذا هو الجزء الثاني من كتاب تاريخ الأدب العربي وهو جزء يحيط
بشطري العهد الإسلامي (صدر الإسلام وعصر بنى أمية) كان تأليفه من
مسئوليتي ، وهو يلى الجزء الأول الذى هو في العصر الجاهلى . وقد قام بتأليفه
الأخ الأستاذ واضح رشيد الندوى وصدر قبل هذا .
لقد قمنا بتأليف هذا الكتاب على إيعاز من فضيلة أستاذنا الشیع
أبی الحسن علی الحسنى الندوی - حفظ الله - وعلی المنهج الذى احتطه لنا .
والكتاب سلسلة لأجزاء تخص العصور المختلفة . استأثر منها الأخ الأستاذ
 واضح رشيد الندوی العصر الجاهلى والعصرین العباسی والمتوسط . وترك لى
العصر الإسلامي . والعصرالحادیث .
لقد صدر الجزء الأول المفتتح للكتاب حاملاً لكلمات تقدیمية تلقى
ضوءاً على ضرورة تأليف هذا الكتاب ، وال فكرة التي يقوم عليها والحاجة التي
تقتضيه من بين كتب تاريخ الأدب العربي الأخرى .
وأهم هذه الكلمات التقدیمية كلمة شيخنا سماحة الأستاذ السيد أبی
الحسن علی الحسنى الندوی - حفظه الله - وهي التي أبدى فيها سماحته
الاستحسان لتأليف هذا الكتاب . وذكر الأهمية التي رأها فيه ، والضرورة التي

كانت تقتضى تأليفه ، فجاءت كلمته كعطاء فكري ، وتوضيح للخط المفید
لتاريخ الأدب العربي ، وهي بذلك جديرة بأن لا تقرأ ك مجرد تقديم لكتاب .
بل كجزء من الموضوع ، وكفصل من فصول الكتاب ، كما يحمل الجزء الأول
كلمة لي أيضاً ، ثم كان على أن أعد الجزء الثاني في أدب العصر الإسلامي .
فقمت بإعداده بما تيسر لي من البحث والدراسة ، وبما حصل لي من توفيق
الله سبحانه وتعالى .

ولقد اعتنيت في هذا الجزء من تاريخ الأدب بمدى استجابة الأدب
للنظرية الإسلامية للشعر والبيان وأثر ذلك على فنيتهما .

ومما لا شك فيه أن طبيعة الشعر والبيان تتبع من الوجدان الإنساني ،
وهو موهبة من الله تعالى لغالبية أفراد البشر ، فهو يوجد فيهم ، ولا يزول بتغير
المبادئ أو تغير مسالك الحياة ، بل إنما يقوم بأداء عمله في قوالب جديدة وفي
صور مختلفة ، وهي إذا لم تكن تعجب بعض الناس بسبب اختلاف نظرتهم
وبسبب ذوقهم الخاص ، فلا يصح الحكم بردائتها على هذا الأساس ، بل إنما
يحكم بمدى قيمتها الأدبية ، بناءً على أساسها الفنية غير المنحازة .

على كل فإني نظرت في بعض هذه الجوانب ، فإن أصبحت فهو من
توفيق الله وفضله ، وإن أخطأته كذلك من تقصيرى ، والله هو المسئول بتسييد
الخطى وبالتفقيق للصواب ، وله المنة والفضل وله الحمد أولاً وأخراً .

محمد الرابع الحسنى الندوى

دارالعلوم ندوة العلماء لكناؤ

١/جمادى الأولى سنة ١٤١٠ هـ

القسم الأول

صدر الإسلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المدخل إلى العهد الجديد

الحياة العربية قبل ظهور الإسلام

الوضع الاجتماعي:

لقد كانت طبيعة الحياة الجاهلية قبل الإسلام طبيعة بدوية ، وكانت في وضعها الاجتماعي على صورة نظامية سطحية ، كانت لها التزامات يتمسك بها الرجل العربي في نطاق قبيلته ، وهي التي كان توصل إليها العرب بمارساتهم العملية وتقاليدهم المتوارثة ، فقد عرفوا أن مجتمعهم القبلي أو العائلي لا يمكن أن يبقى ويستمر بدون الالتزام بالوفاق القبلي . وبدون محافظتهم على التعاون والتضامن فيما بينهم في نطاق الأسرة ، وهذا التعاون كان يقوم على مبدأ " أنصُر أخاك طالما كان أو مظلوماً " ويتجلّى في قول شاعرهم .

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على مقال برهانا
وكان يتلزم كل فرد من أفراد القبيلة أو الأسرة بما يتعهد به أحده
على أساس القبيلة والأسرة ، وكان يعد كرامته كرامة نفسه ومهانته مهانة
نفسه ، وبذلك كانوا يتباردون فيما بينهم التضامن والتعاون ، ويستعينون به
في مخاصماتهم ومحارباتهم فيما بين جماعاتهم القبلية والأسرية .

الإطار الجمهوري :

فنشأت فيهم بتأثير هذا النظام إطارات مشابهة لنظام جمهوري محدود ، كان شريف القبيلة فيها وسيدها يحتل محل رئيس الجماعة ، وكان أصحاب الحزم والحلم يحتلون محل أعضاء مجلس الشورى ، أما عامة أفراد القبيلة والأسرة فكانوا بمثابة الجمهور ، وكانوا يحملون عند الحاجة مسؤولية أفراد الجيش والمقاتلين ، وكل ذلك كان على أساس العصبية العنصرية والقبيلية وبدون مقابل مادي .

الأمية مع البراعة اللغوية والأدبية :

ولكنهم مع نظامهم السياسي هذا كانوا أميين لا يقرأون ولا يكتبون ، ولم يكسبوا معرفة جادة لنظم مجتمعات البشرية الراقية فيما حولهم . كما أنهم لم يكونوا يرون أميتهم عيبا ، لأن أميتهم لم تكن تحول دون تحقيق مقتضيات حياتهم البسيطة ، وهي التي كانت طبيعة البداوة غالبة فيها . يقول الشاعر وهو القطاامي :

فأى رجال بادية ترانا	ومن تكن الحضارة أعجبتـه
قنا صلباً وأفراساً حسانا	ومن ربط الجحاش فإنـ فيـنا
وأعورهن نهب حيثـ كانـا	وكنـ إذا أغـرنـ علىـ جـنـابـ
وضبةـ إنـهـ منـ حـانـ حـانـا	أغـرنـ منـ الضـبابـ علىـ حلـولـ
إـذاـ مـالـمـ نـجـدـ إـلاـ أـخـانـا	وأـحـيـانـاـ عـلـىـ بـكـرـ أـخـيـنـاـ

ولكنهم كانوا يتمتعون رغم أميتهم بصلاحيات النظر الفاحصر والشعور الحاد والهمة للعمل ، وكانت حدة شعورهم هذه دافعة لهم إلى الأعمال

الانفعالية والسلوك العاطفى وإلى اختياراتهم في سبيله لأسلوب معيّر للكلام
لنقل مشاعرهم وأحساسهم في صورة من اللفظ القوى والعبارة المناسبة .
وانتخذوا الشعر أوسع مجال لهم في ذلك ، وبه ترقى الشعريتهم وتقدم . وعكف
عليه أهل الطبع الأدبي متذمرين إيهما أقوى أداة لتبادل مشاعرهم
وأحساسهم الطبيعية فيما بينهم ، فظهرت فيه آثار تعبيرية رائقة ، وانتشر
الشعر فيهم . فقليلًا ما كان رجل منهم لا يتذوق بالشعر ولا يقوله . وتوسّع
الناس في استخدام هذه الأداة التعبيرية ، واعتمدوا عليها في كثير من شئونهم
التي كانت تفتقر إلى النقل المؤثر من واحد إلى آخر أو منه إلى رهط وجماعة .
واستغلوه للوصول إلى مطامحهم العاطفية ومطالبهم الشعرية
والعقلية ، فيرفعون به إذا مدحوا مكانة قبيلة أو شخصية في نفوس السامعين .
ويحطّون به إذا هجوا مكانة قبيلة أو شخصية في أنظار الناس ، ويكون تأثيره
بقدر قوته في التعبير . واحتياج الشاعر فيه للأفاظ المؤثرة وبقدر عرضه المعنى
عرضًا رشيقاً لطيفاً أو جزلاً فخماً حسب براعة الشاعر . وبه كان ينال قبولًا
وانتشارًا في الناس .

وكان الشاعر يفتخر بانتشار شعره في الناس ، وبعده ذلك سبباً لقبوله
وتأثيره ، فقد قال شاعرًا مثيرةً إلى ذلك :

ألم تر أن شعري سار عنى وشعرك حول بيتك لا يسير
ونظرًا إلى ذلك أصح الشعراء يستخدمون وسائلهم هذه لدعم عرده
ومجد لشخص أو قبيلة . ولحظ مكانة الشرف والكرامة من شخص أو قبيلة
أخرى .

فقد مدح الشاعر الجاهلي المشهور الأعشى رجال اسمه المخلوق شاكراً

له على هداياه فكان سبباً لانتشار صيته واشتهر كرامته وشرفه لدى الناس
استطاع المحلق به تزويج بناته بسهولة ، وكن قبل ذلك جالسات بدون الزواج
تحت الفقر والشعور بالحرمان منذ مدة . وقرض عمرو بن كلثوم التغلبي
قصيدة رائعة في الفخر بقبيلته ، فكانت سبب إعزاز لقبيلته في النفوس لمدة
مديدة من الزمن حتى قال قائل :

ألهى بنى تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
وجاء العصر الإسلامي في هذه الحال ولم يكن زال عن الشعر هذا
التأثير، فاستخدم المسلمون أيضاً هذه الوسيلة ، واستعملها الشعراء لأغراضهم
المختلفة .

استخدم شاعر العهد الإسلامي المعروف الحطيئة هذه الوسيلة
منتقداً لصحابي كريم اسمه زيرقان بن بدر فجرح كرامته بشعره ، وذلك في
قصيدة له يقول فيها مخاطباً زيرقان بن بدر .

دع المكارم لا ترحل لعيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي
وعد ذلك زيرقان بن بدر هتكا شديداً لعرضه فرفع قضيته إلى حاكم
المسلمين فصدر رأي الحاكم بمعاقبة الشاعر على جريمة هتك العرض .
وكان الحطيئة هذا قد قام بإراحةه تصور شنيع لحق باسم قبيلة بنى أنف
الناقة كان نظر الناس قد ساء عنه ، وذلك بيت في شعره :

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يسوى بأنف الناقة الدنيا؟
فصار أبناء القبيلة بعد ذلك إذا سئلوا من هم رفعوا رؤوسهم . وقالوا
مفتخرين . نحن بنو أنف الناقة .

وغضب شاعر العصر الأموي الكبير جرير على قبيلة بنى نمير . فقرص

قصيدة في هجاتها ، فكان بيت منها أشد إهانة لقبيلة وإهادرا لكرامتها .
صار أبناء القبيلة بسببه يتهربون من وجوه الناس لثلا يطعنونهم بهذا البيت .
وهو :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وقد روى في هذا الصدد أن غلاماً أبله كان يخدم أسرة من الأسر العربية ، فكان يأتي إلى السوق لاشتراء طلباتها ، وكان رجل من الباعة يتنهز بلاهة الولد ويمرح به ، ويزعجه بذلك ، فشكى الولد إلى سيده فسألته عن صفة التاجر فعلم أنه نمير ، فقال لغلامه : إذا مزح بك منذ الآن فأنشد أمامة بيتك : " فغض الطرف إنك من نمير " فآراد الغلام ذلك ولكنه نسى بعض الكلام فقال : حفظ طرفك ولا جئت بما يسوءك تغير وجه التاجر بذلك ، وسكت طناناً أنه يريد البيت المعروف من الشعر فغض الطرف إنك من نمير الخ
فأدى الشعر بذلك وبغيره من الموضوعات دوراً ثقافياً ونفسياً كبيراً .
ولم يزل يؤديه إلى العصر الإسلامي ، ولعل ذلك هو الذي حمل النبي ﷺ عند ما أنسد الشاعر الإسلامي شعراً في الاعتذار بالإسلام ودحضه الكفر واعتراض عليه صحابي جليل بقوله أفي حضرة الرسول ﷺ وفي مناسبة الجهاد ؟ فقال رسول الله ﷺ دعوه فإنه أشد عليهم (على الكفار) من النيل .

وحصلت بذلك عند العرب نخبة حسنة رائعة من الشعر ، وكانت على مراتب ودرجات من الجودة والحسن سميت طبقاتها بالسموط أو المعلقات .
ثم بالنتقيات ثم بالذهبيات . وغيرها ثم بغيرها من الأسماء .
وخدم شعرهم حاجات نفوسهم العاطفية والخيالية في مجال الخصومات وفي شئون الاجتماع وشئون الأسرة والعائلة وفي أحوال الحب والبغض والرضا

والغضب والإعجاب والمقت ، والفرح والرثاء ، حتى زعم العرب بسبب إعجابهم بتقدّمهم في هذا المجال أن اسمهم العرب هو عنوان لبراعتهم في بلاغة القول وفصاحة اللفظ ، وأن غيرهم هم العجم لحرمانهم من ذلك ، أما النثر فكان استخدامهم له ، للأغراض الأدبية قليلاً ، باستثناء الخطابة فقد كان لها موضع حسن في حياتهم ، وكانت تستخدم للتأثير على المخاطبين وكانوا يستفيدون منها أيضاً .

التمتع باللهوى والرغبات والنظرية إلى المرأة وطلب الشهرة :

ومع وجود هذه الميزة فيهم مما يشير إلى صور من حياة التضامن المحدود والذوق الأدبي كانت سيرتهم الذاتية أو ممارساتهم الفردية في الحياة حرفة تائهة ، منسقة في كثير من الأحيان بالإباحية والخلاعة ، قد كان فيها إدمان في شرب الخمر ، وإمعان في لعب الميسر ، وإسراف في قضاء مطالب النفس واللهوى وفي المكابرة والتعاظم ، وبجنب ذلك كانوا يحبون حسن الذكر والاشتهر بالعزوة والكرامة ، يريدون أن يوصفوا بها ، وكانوا يقومون له بأعمال الكراهة والإنسانية ، وكانوا يعتقدون أن لا حياة بعد الحياة الدنيا ولم يكونوا يؤمنون بالأخرة وقالوا : « إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبوعتين » ففكروا على التمتع بهذه الدنيا بالقدر المستطاع ، وظنوا في الحرمان من متعها خسارة أى خسارة ، وطلبوا حسن الذكر والشهرة فلنيثبت بذلك عزهم في نفوس الآخرين ، وأرادوا تحديد هذه الشهرة ، وكانوا يسعون لكل ذلك وبينللون له مالهم وجهدهم ، وكانوا ينظرون إلى المرأة كذرية للاستمتاع واللهو ، ويرون ولادتها في بيوت أنفسهم مسؤولة غير مرغوب فيها ، فكانت

حائفة من قبائلهم تندها في مهدها ، وكان الشباب منهم بصورة خاصة يرون
إلى الاستمتاع بملاذ الحياة بعين الرغبة الشديدة والاهتمام ، أما التمتع بالهوى
والرغبات فيقول الشاعر الجاهلي سلمى بن ربيعة عنه :

إن شواء ونشـوة

وخبـ البازل الأمـون
مسـافـةـ الغـائـطـ الـبـطـين
فيـ الـريـطـ وـالـذـهـبـ المـصـون
وشـرعـ الـمـهـرـ الـحـنـونـ
لـلـدـهـرـ وـالـدـهـرـ نـوـفـنـونـ
كـالـعـدـمـ وـالـحـىـ لـلـمـسـونـ
غـذـىـ بـهـمـ وـذـاـ جـدـونـ
وـحـىـ لـقـمانـ وـالـتـقـونـ

يـجـشـمـهـاـ الـمـرـءـ فـيـ الـهـوـىـ
وـالـبـيـضـ يـرـفـلـنـ كـالـدـمـىـ
وـالـكـثـرـ وـالـخـفـضـ آـمـنـاـ
مـنـ لـذـةـ الـعـيـشـ وـالـفـقـىـ
وـالـعـسـرـ كـالـيـسـرـ وـالـغـنـىـ
أـهـلـكـنـ طـسـمـاـ وـبـعـدـهـ
وـأـهـلـ جـاشـ وـمـأـبـ

ويقول طرفة بن العبد :

نـدـامـاـيـ بـيـضـ كـالـنـجـومـ وـقـيـنـةـ
رـحـبـ قـطـابـ الجـبـ مـنـهـاـ رـقـيـقـةـ
وـمـاـ زـالـ تـشـارـبـيـ الـخـمـورـ وـلـذـتـ
إـلـىـ أـنـ تـحـامـتـنـىـ الـعـشـيرـةـ كـلـهـاـ
أـلـأـيـهـاـ الـلـائـمـىـ أـحـضـرـ الـوـغـىـ
فـإـنـ كـنـتـ لـاـ تـسـطـيـعـ دـفـعـ مـنـيـتـىـ
وـلـوـ لـلـاثـ هـنـ مـنـ عـيـشـةـ الـفـقـىـ
فـمـنـهـنـ سـبـقـ الـعـادـلـاتـ بـشـرـبـةـ
وـكـرـىـ إـذـاـ نـادـىـ الـضـافـ مـجـنـبـاـ

ترـوـحـ عـلـيـنـاـ بـيـنـ بـرـدـ وـمـجـسـدـ
بـجـسـ النـادـمـىـ بـضـةـ الـتـجـرـدـ
وـبـيـعـىـ وـإـنـفـاقـىـ طـرـيفـىـ وـمـتـلـدـىـ
وـأـفـرـدتـ إـفـرـادـ الـبـعـيرـ الـعـبـدـ
وـأـنـ أـشـهـدـ الـلـنـاتـ هـلـ أـنـتـ مـخـلـدـىـ
فـدـعـنـىـ أـبـادـرـهـاـ بـمـاـ مـلـكـتـ يـدـىـ
وـجـدـتـ لـمـ أـحـفـلـ مـتـىـ قـامـ عـودـىـ
كـمـيـتـ مـتـىـ مـاـ تـعـلـ بـلـاءـ تـزـيدـ
كـسـيدـ الـغـضـاـ بـهـتـهـ الـمـتـورـدـ

السخاء والشجاعة :

أما طلبهم السمعة الطيبة والكرامة فقد كان باختيار السخاء والضيافة وبأعمال الشجاعة والبسالة أو بادعائهما لأنفسهم بها أو بالرغبة إلى الشعراً بأن يمدحونها ، وكانوا يعطونهم على مدحهم جوازات حتى كان بعض الشعراً يتكسبون بذلك ويتخذونه ذريعة لعاشهم ، ومن نماذج المديح بالسخاء شعر الأعشى في المحلق حيث يقول :

لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة على ضوء نار باليفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها
وبات على النار الندى والمحلق
رضيعى لبيان ثدى أم تقاسما
بأسحم داج عوض لا تتفرق
توى الجود يجري ظاهراً فوق وجهه
كم ازان متن الهندوانى رونق
يداه يدا صدق فكف مبيدة
واما ادعاء الشجاعة والبسالة وبيان أعمالها فمثاله :
قول عترة بن شداد العبسي في معلقته :

اغشى الوغى وأعف عند المغنم يخبرك من شهد الواقعية أنتى
لامعن هربا ولا مستسلم ومدح كره الكمسة نزاله
بتثقف صدق الكعوب مقوم جادت له كفى بعاجل طعنة
ليس الكريم على القنا بمحرم فشككت بالرمي الأصم ثيابه
ما بين فله رأسه والمعصم فتركته جزر السباع ينشنه
يتذامرؤن كررت غير مذمم لا رأيت القوم أقل جمعهم

أشطاف بئر في لبان الأدهم
ولبانه حتى تسرب بالدم
وشكا إلى بصرة وتحمم
فيل الفوارس ويكت عنتر أقدم

يدعون عنتر والرماح كأنهما
ما زلت أرميهم بشغرة نحره
فاذور من وقع القنا بلسانه
ولقد شفى نفسي وأذهب سقمها

طلب التأر وإغاثة الملهوف :

وكان التأر مما يحمل العربي على القيام بما يسعه من بذل جهد في طلبه وشجاعة في سبيله ، وكان يعد التهاون فيه من أسباب المهانة والذلة : ومثاله :

قول قيس بن الخطيم متحدثاً عن انتقامه من خصمه .

طعنت بن عبدالقيس طعنة تأثر
لها نفذ لو لا الشعاع أضاءها
يرى قائم من دونها ما وراءها
عيون الأولي إذ حمدت بلاها
خداش فأدري نعمه وأفاءها
أسب بها إلا كشفت غطاءها
بإقدام نفس ما أريد بقاءها
وأتبعت دلوى في السماح رشاءها
ولاية أشياخ جعلت إزاءها
تأثرت عديا والخطيم فلم أضع

وفي سبيل السمعة الطيبة والكرامة كانوا قد يلجأون إلى احتيال التبذير الشديد والإسراف الغريب . وقد يتطلب ذلك منهم تصحيات في الأموال والأرواح ، نجد أمثلة منها في حياة حاتم الطائي وغيره من أحوال

الجاهلية ، والشعر الذي قيل في الجود والسخاء ، وكان منه قيام بعضهم بإغاثة الملهوف والافتخار به ، ومثاله قول بعض بنى أسد .

يدين على ابن حسحلس بن وهب
بأسفل ذى الجذاه يد الكريم
قصرت لـه من الحماء لما
شهدت وغاب عن دار الحميم
أبيـهـ بـأـنـ الـجـرـ يـشـوـىـ
وـلـوـأـنـيـ أـشـاءـ لـكـنـتـ مـنـهـ
ولـأـنـيـ أـشـاءـ لـكـنـتـ مـنـهـ
ذـكـرـتـ تـعـلـةـ الـفـتـيـانـ يـوـمـاـ
وكـمـاـ مـرـفـيـ أـحـدـ أـبـيـاتـ طـرـفـةـ بـنـ الـعـبـدـ .

الحالة الدينية :

أما دينهم فكان من أبسط وأقصر ما يكون ، كان منحصرًا في العبادة عند ما تشعر نفوسهم بال الحاجة إليها ، يؤدون حقها بأى طريق يحسبونه مناسباً مع رغبتهم . متبعين في ذلك تقاليد آباءهم . وكانوا يعبدون الأصنام والتماثيل . ويؤدون طقوساً وعادات . ويعتقدون بأشياء موهومة . وربما صنعوا الصنم من السكر والسوبيق لتحقيق رغبتهم في العبادة خلال سفرهم فيعيبدونه ثم يأكلونه عند الجوع .

ظهور الإسلام وتأثيره :

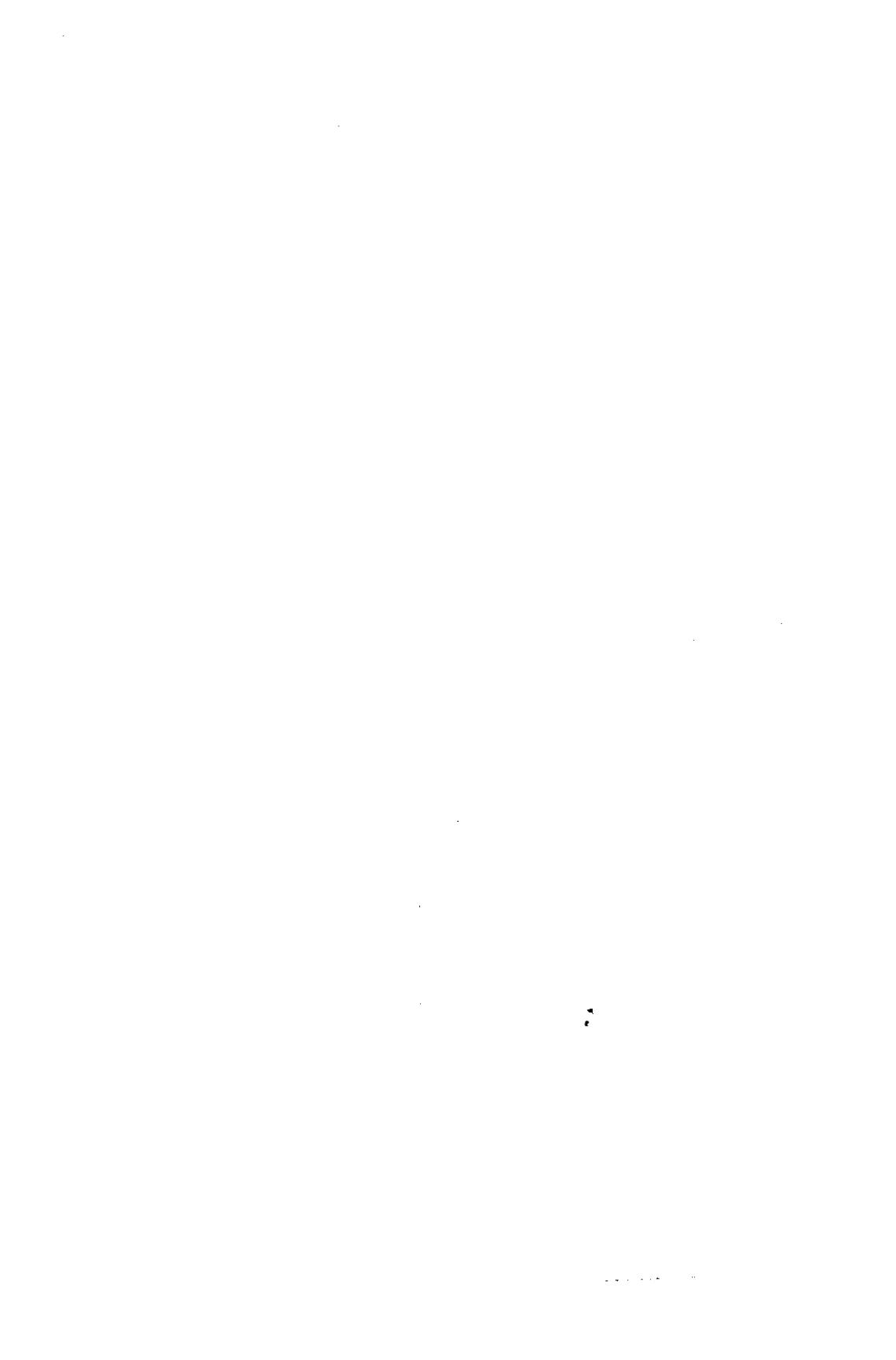
ولما جاء الإسلام تعارضت رغباتهم واتجاهاتهم عن تعاليمه فخالفوه . وتعصبو ضده . وأذوا المسلمين . وقام الأقوباء من الكفار بتعذيب الضعفاء من المسلمين . وأذوا الرسول ﷺ أيضًا . واضطروه إلى الهجرة إلى المدينة حتى وصل الأمر إلى القتال فوسمت حروب انهزام فيها الكفار . فحرضوا شعراهم على

هجاء الرسول ﷺ والنيل من شرفه وكرامته ، وكان الشعر من أقوى سلاح في ذلك العصر، كانوا يتأثرون ويؤثرون به في النفوس ، فلما أشهروه ضد الرسول ﷺ ضد الإسلام أراد كبع جماده وشره فعايه وانتقده ، وكافع المسلمين شر الكفار وكافحوا اتجاهاتهم وتصوراتهم المنحرفة ، ورباهم رسول الإسلام محمد ﷺ بأخلاقه وبدعوته وتربيته للنفوس ، وقد نجح في صياغة تصوراتهم في قالب جديد ، وملاً قلوبهم بطلب رضا الله سبحانه وتعالى مكان رغباتهم إلى اللذة والنهو . وخلع عنهم لباس الهوى والفساد ، وأحل محله لباس التقوى ، يقول الله تعالى : « ولباس التقوى ذلك خير ». .

مبادئ دعوة الإسلام :

بدأت الدعوة الإسلامية عملها منذ أن نزل على الرسول ﷺ الوحي من الله تعالى بقوله « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق . إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم . كلام إن الإنسان ليطغى أن رأه استغنى ، إن إلى ربك الرجوع ». .

وبذلك جمع الإسلام في دعوته بين الإيمان والعلم ، إنه دعا إلى تصور جديد لكرم الأخلاق وإلى إصلاح الحياة ، وتحويلها من الفساد إلى الفضيلة . ودعا إلى العلم والقراءة والعبودية لله تعالى . إنه قام بتحويل اتجاه العرب من الاهتمام بمتع الحياة الدنيا إلى الاهتمام بالفوز والفلاح في الآخرة .



الباب الأول

أصول الأدب الإسلامي

الفصل الأول

تأثير الدين الإسلامي في حياة العرب

تغيرت الحياة العربية الجاهلية بتأثير الدين الإسلامي الذي دخل فيه العرب قاطبة ، ذلك الدين السماوي الأخير الذي جاء به - من الله تعالى - رسوله العظيم محمد بن عبد الله القرشى العربي ﷺ ، واصطبغت الحياة العربية بصبغته الجديدة في جميع مناحيها ومجالاتها ، فكان من تأثير ذلك أن خرجمت الحياة العربية من حالة التفرد والانعزال القبلي إلى حالة الاجتماع والتضامن الإسلامي ، وخضعت عصبية الدم والنسب لرابطة الأخوة الإسلامية الواسعة ، كان مبدأهم في ذلك - قول الله - تعالى - ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ وقول الرسول - عليه السلام - " كل من آدم وأدم من تراب ، لا فضل عربي على عجمي ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى " فحصلت بذلك وحدة إسلامية شاملة ، وزالت فوارق الدم والنسب ، وذكر الصحامي الجليل ربعي بن عامر مبدأ المسلمين في الحياة الجديدة بقوله : " اللَّهُ ابْتَعَثَنَا لِنُخْرُجْ مِنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ ، وَمِنْ ضيقِ الدُّنْيَا إِلَى سَعْتَهَا ، وَمِنْ جُورِ الْأَدِيَانِ إِلَى عَدْلِ الإِسْلَامِ " فتوسعت بذلك آفاقهم العقلية والوجدانية ، واتصفت حياتهم بالنراة في السيرة والجد في العمل والسمو في العواطف والرغبات ، وتهذبت مشاعرهم ، وأرهفت أحاسيسهم ، وتفاعل كل ذلك في

تكوين طبيعة جديدة، تختلف في الشعور والنظر عن طبيعة الحياة القديمة، وحضور لهذه الطبيعة الجديدة اقتباسهم واتباعهم لثقافتهم القديمة، وحياتهم السابقة، واستفادتهم وتلقيهم من أدبهم القديم، وذلك بالإضافة إلى الزاد الأدبي والسلوكي العظيم الذي وصل إليهم عن طريق القرآن وسنة الرسول ﷺ، وقد كان - ﷺ - نموذجاً للحياة الإنسانية المثالية المتحلية بالصدق والصراوة والعطف والرحابة والسمو الخلقي، وقد قال : "بعثت لأنتم مكارم الأخلاق" .

نظرة الإسلام إلى الأدب :

ظهر الرسول ﷺ وكان قد نشأ على بлагة القول وفصاحة البيان ، لأنه من قريش ومن أكرم فرع منها ، ونزل عليه القرآن الذي اشتمل على الكلام البليغ المؤثر والبيان الزكي الرائع ، تحولت به النفوس من الضلال ومساوئ الآداب إلى الصلاح ومكارم الأخلاق ، وبذلك برب للعرب خط جديد للأدب وهو استخدامه للأغراض الإنسانية النبيلة ، وإستخلاصه من الأحوال الدنسة والمتاهات الخلية ، فأصبح بذلك ما يتجاوز الحدود النزية منه محظوظاً مرفوضاً ، وما ينحصر فيها ويخدمها جائراً مقبولاً ، إنه نعى على رجال الشعر غوايتم ومخالفة قولهم وفعلهم في جانب ، ورضى عن النثر حكمته وبيانه في جانب آخر ، فانقطعت عنه بتأثير ذلك نواحيه التائهة ، ولقد زهد لوقت ما عدد من رجاله حتى في قول الشعر ، إلا إذا دعت الحاجة إلى ذلك ، وكان لهدف صالح ، فهذا حسان بن ثابت الأنباري لم يقل الشعر بعد إسلامه إلا فيما يرضى الله ورسوله ، ويستخدم الفكرة الإسلامية النبيلة ،

وهذا لبيد بن ربيعة صاحب إحدى العلاقات الشعرية زهد بعد إسلامه في قول الشعر، فلم يقل إلا نادراً، وكذلك الآخرون من شعراء الصحابة - رضي الله عنهم - لم يقولوا الشعر بعد إسلامهم إلا في أغراض سليمة نافعة، وبدأت تظهر للشعر معالله الإسلامية وبدأت تتكون طبيعته الإسلامية في كلام المترممين بالفكرة الإسلامية للشعر.

الروح الإسلامية للأدب :

ويشير إلى الروح الإسلامية للأدب والشعر ما حدث لشاعر بعد إسلامه وهو النابغة الجعدي لما قال فيما قاله :

"بلغنا السماء مجدنا وجدودنا - وإننا لنرجو فوق ذلك مظهراً".

فلما سمع ذلك رسول الله - ﷺ - تغير وجهه الكريم، وسأل إلى أين يا أبا ليلى؟ فقال الشاعر: إلى الجنة يا رسول الله "وبذلك طابت نفس رسول الله - ﷺ - لأنه عرف من شرح الشاعر لشعره أن المفهوم ليس كما يبدو من ظاهر النص بأن يكون جراءة مع الذات الإلهية، بل إن مفهومه هو التقرب إليه وطلب مثوبته وجنته ، فبيت واحد من الشعر كان يدخل في حيز الإلحاد والكفر، إذا كان مضمونه مغايراً للحق والإسلام ، ولكنه يصير بيتاً من الشعر الإسلامي ، عند ما يتفق مفهومه مع النظرة الإسلامية الرشيدة إلى الحياة .

ولقد ظهر الاتجاه الأدبي الإسلامي المتلزم لأول مرة في كلام الرسول - ﷺ - وكان مشتملاً على أنواع وأصناف أدبية مختلفة ، لا على نوع واحد محدود ، وقلده واتبعه فيه صحابته - رضي الله عنهم - والذين آتوا من بعدهم

من أتباعهم ، وبسطوا القول ، ونوعوه ، كل بحسب مواهبه العقلية والخيالية . ولكن ملتزمين فيه ومحتفظين بالسمة السليمة المقتبسة من المنهج القرآني للبيان الأدبي ، ومن بيان الرسول - عليه السلام - فوجد بذلك في موضع كل لون من الأدب الجاهلي لون من الأدب الإسلامي ، الخطب في موضع الخطب . والعهود في موضع العهود ، والحكم والأمثال في موضع الحكم والأمثال . بدون أن تنطوي على خلاعة وفساد بالإضافة إلى ما تجدد لهم من أنواع أدبية أخرى مثل الرسائل والأحاديث ، وذلك بتأثير تصورات جديدة من الحياة والإنسان .

أبقى الإسلام من التراث الأدبي الجاهلي ما لم يكن فيه فساد وانحراف أو ما غالب نفعه على ضرره ، إنه لم يعامله معاملة النفي والشطب جرافا ، بل إنما كانت نظرة الإسلام إليه كنظرته إلى الناس ، فيهم خيار وشرار قال رسول الله - ﷺ - " الناس معادن كمعادن الذهب والفضة . خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا " (صحيح مسلم) وقد أتني الرسول ﷺ على الجواب الجاهلي الكريم حاتم الطائى عند كلامه مع ابنه . فقد قال: إن أباك كان يحب مكارم الأخلاق ، واستند شعر أممية بن أبي الصلت وقال: " آمن لسانه وكفر قلبه " .

هكذا كانت نظرة الإسلام إلى الأدب ورجاله . وكل ما كان خيراً في الجاهلية عد خيراً في الإسلام .

اعتناء الصحابة بالشعر :

ونجد عند الصحابة - رضى الله عنهم - اعتناءً بالشعر الجاهلي

استعنوا به في فهم معانى ألفاظ القرآن ، واستفادوا به في مختلف أغراضهم النزية ، وقضوا به حاجات نفوسهم الملزمة ، ويشهد بذلك ما روى عن سيدنا عمر بن الخطاب أنه اجتمع ببعض أولاد هرم بن سنان ممدوح شاعر الجاهلية الكبير زهير بن أبي سلمى ، فاستنشده سيدنا عمر بن الخطاب بعض مدائع زهير في مدح أبيهم ، فأنسدته ، فعلق عليه سيدنا عمر بقوله : " إن كان ليحسن فيكم القول " قال أولاد هرم : " ونحن والله إن كنا لنحسن له العطاء " فقال : " قد ذهب ما أعطيتموه ، وبقي ما أعطاكم " ^١ .

وكذلك لما اجتمع بسيدنا عمر - ^{عليه السلام} - شاعر الرثاء المعروف متمن بن نويرة ، واستنشده سيدنا عمر بن الخطاب رثاءه في أخيه مالك بن نويرة الذى قتلته سيدنا خالد بن الوليد قائد جيوش المسلمين ، فأنسدته متمن شعره الذى أله :

وكان كندمانى جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا فتأثر به سيدنا عمر وقال ليت مثله قيل لأخى زيد بن الخطاب ، وكان استشهد في القتال للإسلام ، فقال متمن : " لو أن أخي مات على ما مات عليه أخوك مارثته " فقال عمر : " ما عزاني أحد في أخي بمثل ما عزاني به متمن " ^٢ فهذا كله يدل على أن الإسلام لم يشطب الأدب الجاهلى كله . بل إنما شطب الأدب الفاسق والمنافق منه .

^١ مختار الأغانى لابن منظور ج ٥

^٢ مختار الأغانى ج ٩

المفهوم الإسلامي للأدب :

فالشعر والأدب إذا تقيدا بحدود النزاهة الإسلامية النابعة من القرآن والسنة ، وأدب الصحابة ، ولم يقعَا فيما نهى الإسلام عن الوقوع فيه ، من هتك الأعراض والعيث بالفساد ، فهما مقبولان في نظر الإسلام ، وإنما خارحان من الإطار الإسلامي ويبعدان عنه بمدى بعدهما عن الالتزام بروحه وإسلاميته . على كل ، فإن الإسلام لم يعارض الأدب ، ولم يتخل عن مجال من مجالاته الكثيرة إلا في حدود التزامه بالحق والنزاهة ، ونفيه للانحراف والعدوان ، وبه يتعين المفهوم الإسلامي للأدب ، ويظهر منهجه لسايرة الحياة ومتناها ، ويتبيّن أيضًا أن الأدب المشتمل على هذا المفهوم لا يعجز عن المعالجة الفنية لأى جانب من جوانب الحياة ، ولا عن تأدية رسالة الأدب الموكولة إليه ، غير أن هدف الأدب الإسلامي المفضل هو التعبير عن الحياة للبناء والإصلاح ، بينما نجد هدف الأدب الجاهلي المفضل هو تحقيق مآرب الحياة النائمة ، ومساعدتها بكل وسائل العربردة والاختباط . وذلك لأن الإسلام لا يرضي بالحرية والتمتع بملاذها التي تكون متعة ولذة لواحد ، وهنك اعتداء على الآخر ، أو إفسادًا وهدمًا لسلامة الإنسانية وخيرها .

فيدخل الأدب في الإطار الإسلامي ما دام يكون خالياً مما نهى الله ورسوله عنه، ورضي الرسول - عليه السلام - بهذا القسم من الأدب . فقد استمع إلى شعر العهد الجاهلي ونشر العهد الجاهلي بدون أن يعني عليه ، إنه رضى بشعر كعب بن زهير وأعطاه جائزة عليه ، وتحدث إلى زوجته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بحديث أم زرع ، وقال في آخره - " أنا لك كأبى زرع لأم زرع " وجرى على سنته خلفاؤه . كما ظهر من استماع سيدنا عمر بن الخطاب

لقصيدة رثاء مالك بن نويرة ، ورغبته لكون مثل هذا الرثاء لأخيه زيد أيضاً .
وطلبه من أولاد هرم بن سنان أن ينشدوا شعر زهير في مدح أبيهم وثنائه عليه.

أهمية النثر في العهد الجديد :

أما النثر فقد عظمت أهميته في العهد الجديد ، وعظمت الحاجة إليه .
وذلك - أولاً - لنزول كلام الله فيه ، وهو في قمة البيان العربي ، وقد عظم تأثيره
على النفوس والقلوب ، وثانياً لعدم مجاوزة الرسول - عليه السلام - في كلامه
من النثر إلى الشعر ، وهو أفصح العاملين ، وأبلغ العرب بلا جدال . ولقد
اقتضت الحياة الجديدة اللجوء إلى النثر أكثر لل حاجات الدعوية ، فاشتدت
عنابة المسلمين العرب به ، وعظم استخدامهم له في شئونهم وأعمالهم ، فإن فيه
صلاحية أعظم ومرونة أكثر لملاءمة مقتضيات الحياة الاجتماعية الجديدة .
وقضاء ضرورات الحكم ، وسياسة البلاد التي كان العرب قد أصبحوا منذ
ظهور الإسلام وانتشاره في حيالها .

وأمر الرسول - عليه السلام - منذ هاجر إلى المدينة المنورة بتعلم
الكتابة ، وهي أساس الثقافة والعلم ، وذريرة إلى قوة النثر الفنى وازدهاره .
واستبق المسلمون إلى الكتابة والتعليم ، حتى أصبح فيهم كتاب (أى
متعلمون) في زمن قليل .

الفصل الثاني

دعائم أدب العهد الجديد

قام أدب العهد الجديد على أربع دعائم وهي :

أ - الأدب المتأثر من العهد الجاهلي .

ب - ظروف الحياة الجديدة ومؤثراتها .

ج - القرآن الكريم الذي نزل ، فتأثير على النفوس والقلوب ، وغير طبيعة ساميته وقارئيه الفكرية والوجدانية والشعرية ، ومنع أصحاب الشعور الأدبي منهم صوراً ونماذج أدبية جديدة وبدعة كثيرة ، فتطور وميز وأضاف في الطريقة والمنهج .

د - حديث الرسول - عليه السلام - الذي كان أضخم ثروة نثرية للعرب وكان على الأسلوب الواضح، الزاخر بنماذج مؤثرة .

الأدب المتأثر:

أما الأدب المتأثر من العهد الجاهلي فأكثره الشعر الذي قيل في مدة قرن ونصف قرن قبل الإسلام ، وعبر العرب به عن مشاعرهم وعواطفهم وتصوراتهم بأسلوب واقعي مؤثر أخاذ ، وله نماذج رائعة نقلتها كتب الدواوين والمجموعات الأدبية ، وظهرت تأثيره على مشاعر أبناء ذلك العصر وأفكارهم ، وذلك يدل على مدى قوته وبلغته ، وتعلق قلوب العرب به ، وأكثره

يدور في الشعر الذي قيل في جوانب الحياة العربية الخالصة ، في مختلف مناسباتها من سلم وحرب وتأملات ووجдан ، وأما النثر فكان قليلا وبسيطا في عامة الأحوال ، غير أن نساج خاصه منه امتازت ونالت شيئاً من البقاء والذكر ، وكان مشتملاً على جمل الحكمه والمثل وبعض الخطب والوصايا .

ظروف الحياة الجديدة :

أما ظروف الحياة الجديدة وأحداثها فهي أيضاً دعامة كبيرة من الدعائم الأدبية التي قام الأدب الجديد عليها ، وهي نتيجة التحول الجذري في حياة العرب الذين نحن بصددهم ، فقد أحدث التحول الديني الذي ساد العرب ، وعمهم - فدخلوا في الإسلام كافة - تحولاً في شتى المجالات ، من نظرة إلى الحياة ، ومن سيرة فردية ومن سلوك اجتماعي ، كما أنه أوجد مجالات جديدة للحياة لم تكن في الجاهلية ، من عمل الدعاوة للدين الجديد واختيار نظام جديد للعبادة والعبودية لله في جميع أنحاء الحياة ، ومن اختيار حياة الجد والفضيلة ، ومن بدأ حياة التمدن والحكومة ، وظهور أحوال الفتوح الكثيرة وانفتاح العالم ، فالعربي الذي كان في الجاهلية يتسع في البطالة والهوى والجهالة ، يلتزم الآن بالجد والفضيلة والعمل ، وكانت حياته قبل الإسلام بدوية متخلفة ضيقة الحدود ، فأصبحت الآن اجتماعية متمدنة حاضعة لسلطان الحق ، وكانت الخصومات القبلية الضيقة تستولي عليه في الماضي ، أما الآن فهو يدخل في مجال الوحدة الكبيرة ويحيط سلطانه على البلدان الواسعة خارج الجزيرة ، فنظرية على تاريخ العرب قبل الإسلام ، وعلى ثقافتهم وأنماط حياتهم في الجاهلية تكشف طبيعة ذلك العهد الجاهليه والبدوية الإباحية المتحررة .

القرآن الكريم :

أما القرآن الكريم فهو الدعامة الكبرى من بين الدعائم الأربع المذكورة فقد أثر على طبيعة أدب العهد الجديد، وصاغه صياغة جديدة في عناصر الأسلوب الأدبي كلها ، من عاطفة وفكرة وخيال وصورة لفظية ، واشتمل على نماذج رائعة لصور أدبية قوية نابضة بالحركة والحياة في مختلف مجالات التعبير والتصوير الأدبيين .

وكان أعظم مدد للنثر الفنى الجديد ، والمثل الأعلى للمناهج الأدبية الجديدة النقية وتلقينا أيضًا بما يجب أن يؤديه الأدب الإسلامي من دور في العالم، لبناء الحياة الإنسانية الهدافلة النبيلة .

نزل القرآن على الرسول محمد ﷺ منجمًا في ثلات وعشرين سنة ،
ثلاث عشرة في مكة ، وعشر سنوات في المدينة المنورة ، ولما كانت الحياة في
مكة حياة دعوة وتبليغ وفتح طريق بين القلوب المتمردة الجامحة والآنفوس
المتأبة القاسية ، كانت الآيات القرآنية التي نزلت فيها قصيرات الجمل
رائعة الفواصل شبيهة بالسجع ، فالجمل مليئة بالقوة البينية والتاثير اللفظي
طبيعيّة المعنى وبسيطته ، أما في حياة المدينة فكان المسلمون في قوة ووحدة
نظام ، ولم يكونوا في حالة ضعف فكانت الآيات المزلة فيها حافلة
بتوجيهات رشيدة ، ومعانٍ تربوية وتنظيم الحياة تنظيمًا عادلاً مفيداً ، فقل
فيها أسلوب الديع وطالت الفقر ، وحافت بالمعنى الغزير ، واشتمل القرآن
على مائة وأربع عشرة سورة . منها كبيرة وصغيرة ، أطولها سورة البقرة ، وهي
تشتمل على مائتين وست وثمانين آية . وأصغرها اشتملت على ثلاث آيات ،
وهي في الجزء الأخير من القرآن ، والقرآن ثلاثون جزءاً ويشتمل القرآن على

معانى الدعوة والإصلاح والتوجيه وال التربية والتشريع والتعليم ، وقد ذكر حوادث وقصصاً للأنبياء السابقين ، وكل ذلك تفتح القلوب المغلقة للدين الإسلامي .

أسلوب القرآن :

جمع القرآن بين غزارة المعنى وإحكامه ، ورصانة اللفظ وفصاحته .
واشتمل على نواحٍ فكرية ونفسية مختلفة ، من تشريع وتهذيب ووصف ، في
أبلغ الصور البينانية معنى وعبارة ، وأشدّها وأسماؤها تأثيراً ومكانة ، مع عدم
التفيد بقيود الفن المفروضة ، أو طرق أدبية مرسومة ، بل سار على التجديد
والابتكار والتنوع والإعجاز .

طريقته بين الطريقتين :

وليس طريقة طريقة الشعر الذي يتبع خطة نظم مألف ، وليس
من النثر المطلق الحالى من جمال التعبير ومحسنات اللفظ والإيقاع أيضاً ، بل
إنها طريقة بينهما تتقييد بقيود تشبه في بعض خصائصها قيود الشعر الجميلة
وتحرر في أخرى بحيث تشبه النثر الفنى الجميل ، ولكنها تفوق طريقة
الشعر والنثر كلتيهما على كل حال ، وتحمل تأثيراً أعظم من تأثيرهما ، وفائدة
أوسع من فائذهما ، وجمالاً أسرع ومعنى أغزر منهما جميعاً .

جمال العبارة وعدوية الصوت :

فحينما يمتلىء أسلوبه بجمال العبارة وتأثير اللفظ مع جزالة المعنى
وقوته فتحمل تأثيراً أشد من تأثير الشعر ، وعدوية أشد من عدويته ، وتحمل
أواخر آياته مع تحررها من قيود النظم المقيدة جرساً شعرياً مؤثراً ، وهي

تسمى "بالفواصل" عوضاً عن القافية والرديف ، فهي لا تجري على مجرى صوتي أو وزن واحد ، وأسلوبها ليس على أسلوب السجع أيضًا بالمعنى الدقيق للسجع ، ويراعي القرآن هذه الفواصل فيؤثر بذلك أثراً بليغاً ، وينوعها ، فلا يلتزم دائمًا بتساوي الفقرتين ، بل قد تكون إحداهما قصيرة ، وأخرها طويلة . وأحياناً لا تتحد الحروف الختامية ولكنها لا تخلو من التناغم الجميل.

موافقته للنفسية والوضع وتتنوع عباراته حسب المقتضى والمعنى:

وأصل أسلوبه هو اتباعه للأغراض الفاضلة التي أنزل لأجلها ، مع موافقة كاملة بارعة للنفسية التي يملكتها مخاطبواه ، وللأجزاء الذهنية والوجودانية التي يسبحون فيها ، ولذلك تتنوع أساليب القول فيه بتتنوع الحالة والموضوع ، وباختلاف مستوى الوعي الوجوداني والنفسى للمخاطبين . وكل ذلك في تناسق دقيق وانسجام لطيف .

كما تتنوع بين الشدة واللين ، والترغيب والترهيب ، والوعيد أيضًا بقدر ما يحتاج إليه الوضع ، وتقضيه حكمة الدعوة ، فحينًا تشتمل الآيات على تشريع أحكام وتوجيه إرشادات ، وحينًا تشتمل على تفصيل صور الجزاء والعقاب ، أو بيان قصص الدعوة وحياة الأنبياء ، وفي كل ذلك تنسجم بتراكيبها وأصواتها وأصنافها مع الجو والموضع والنفسية .

﴿ قال إني عبد الله ، آتاني الكتاب ، وجعلنى نبياً وجعلنى مداركاً أين ما كنت ، وأوصانى بالصلة والزكاة مادمت حياً ، وبراً بوالدى ولم يجعلنى جباراً شفيناً ، والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً . ذلك عيسى بن مريم . قول الحق الذى فيه يمرون . ما كان لله أن يتخذ من

ولد ، سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن ، فيكون وإن الله ربى وربكم فاعبدهو ، هذا صراط مستقيم ، فاختار الأحزاب من بينهم ، فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ، أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا ، لكن الطالون السوم في ضلال مبين ، وأندرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر ، وهم في غفلة وـ لا يؤمنون ، إنا نحن ثرث الأرض ومن عليها ، **إلينا يرجعون** ﴿١٩﴾ مريم .

﴿نَّ وَالْقَلْمَ وَمَا يَسْطِرُونَ ، مَا أَنْتَ بِنَعْمَةِ رَبِّكَ بِمُجْنَنٍ ، وَإِنَّ لَكَ لَأْجَراً غَيْرَ مَمْنُونٍ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ فَسَبِّصْرُ وَيَصْرُونَ ، بِأَيْمَنِ الْمُفْتَنِ ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمَهْتَدِينَ ، فَلَا تَطْعُمُ الْمَكْذِبِينَ ، وَدُوا لَوْ تَدْهُنُ فَيَدْهُنُونَ وَلَا تَطْعُمُ كُلَّ حَلَافٍ مَهِينَ ، هَمَازَ مَشَاءَ بَنَمِيمَ ، مَنَعَ لِلخَيْرِ مَعْتَدِ أَثِيمَ ، عَتَلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمَ ، أَنْ كَانَ ذَا مَالَ وَبَنِينَ ، إِذَا تَتَلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتِنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ، سَنَسْهُ عَلَى الْخَرْطُومَ ، إِنَّا بِلُونَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةَ ، إِذَا أَقْسَمُوا لِيَصْرُمُنَاهَا مَصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ، فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ ، وَهُمْ نَاثِمُونَ ، فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ (ن).

الفخامة والرقّة :

وقد تتجلى في الآيات حيناً فخامة المعنى وجلاية الموضوع . كما في سورة الحج وسورة المؤمن ، وحياناً تتجلى منها الرأفة الظاهرة واللطف الأنسي . كما في سورة مريم وسورة الأنبياء .

الجمال الصوتى والتناغم :

أما التناغم والجمال الصوتى الجميل فله أيضاً نماذج مختلفة . كثيرة . كما في سورة الفرقان وسورة ق وسورة القمر ، وسورة الرحمن ،

وسمة المرسلات وغيرها .

ضرب الأمثال :

ويزخر الدلّام القراءى بـ تمثيلات رائعة بدّيعة وضرب الأمثال ، وإنها تسوق النفس الإنسانية إلى معرفة الذات الإلهية والاقتناع بـ سمو الدعوة النبوية .
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْأَنْوَارِ ، كَمَاذِي يَنْفُقُ مَالَهُ رِيَاءُ النَّاسِ ، وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَمَثْلُهُ كَمْثُلْ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تَرَابٌ ، فَأَصَابَهُ وَابْلُ فَرَكَهُ صَلَدًا ، لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مَا كَسَبُوا ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ، وَمَثْلُ الَّذِينَ يَنْفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاهُ اللَّهُ وَتَبَثِّتُمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ كَمْثُلْ جَنَّةَ بَرْبُوَةَ أَصَابَهَا وَابْلُ فَاتَتْ أَكْلَهَا ضَعْفَيْنِ ، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَصِبْهَا وَابْلُ فَطْلُ ، وَاللَّهُ لَمْ يَعْمَلُنَّ بِصِيرَتِهِ﴾ (البقرة) .

﴿ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ، أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَا فَسَّالَتْ أُودِيَّ بِقَدْرِهَا ، فَاحْتَمَلَ السَّيْلَ زِيدًا رَابِيًّا ، وَمَا يُوقَدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حَلِيَّةَ أَوْ مَتَاعَ زِيدَ مُثْلِهِ ، كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ ، فَمَا الرِّزْدُ فِي ذَهَبٍ جَفَاءً ، وَمَا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيُمْكَثُ فِي الْأَرْضِ ، كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالُ﴾ (الرعد) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، مُثْلُ نُورِهِ كَمْشَكَاهُ فِيهَا مَصَاحٌ ، الْمَصَاحُ فِي زَحَاجَةٍ ، الزَّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كُوكَبٌ درَى يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةِ مَنَارَكَهُ رِبَّتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ يَكَادُ زَيْتَهَا يَضِيقُ وَلَوْلَمْ تَفْسِسْهُ نَارٌ ، نُورٌ عَلَى نُورٍ . يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النور)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مِثْلُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ، إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَا جَمِيعًا لَهُ ، وَإِنْ يَسْلِبُهُمُ الذَّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ . ضُعْفُ الطَّالِبِ وَالْمُطْلَوِبِ ، مَا قَدَرُوا اللَّهُ حَوْقَدَرَهُ ، إِنَّ اللَّهَ لَغَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج).

تصوير المعانى والمشاهد :

وكذلك نجد أسلوب القرآن مليئاً بتصوير المعانى والمشاهد تصويراً صادقاً محسوساً، وذلك من السمات الأدبية في القرآن، وإنه يشرح به النفوس المقفلة، ويفتح العقول المغلقة لفهم الحقائق الدينية الناصعة وتلقيها.

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسْرَابٌ بَقِيعَةٌ يَحْسِبُهُ الظَّمَانَ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ، وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْفَاهُ حِسَابٍ ، وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ، أَوْ كَظِلَّمَاتٍ فِي بَحْرِ لَحْيٍ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ ، مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ، ظَلَّمَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ، إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكُدْ يَرَاهَا ، وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ اللَّهَ لَهُ نُورًا فِيمَالِهِ مِنْ نُورٍ ﴾ (النور).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ، إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذَهَّلُ كُلُّ مَرْضَعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتٍ حَمْلَ حَمْلَهَا . وَتَرَى النَّاسُ سَكَارِيًّا وَمَا هُمْ بِسَكَارِيٍّ وَلَكُنْ عَذَابُ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (الحج).

﴿ وَالْعَادِيَاتِ صَحَّا ، فَالْمُلْوَرِيَاتِ قَدْحَا ، فَالْمُغَيْرَاتِ صَبَحَا ، فَأَثْرَنَ بَهُ تَقْعِيْداً فَوْسَطَنَ بَهُ جَمِعاً ، إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ . وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ ، وَإِنَّهُ لَحُبُّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ (العاديات).

الأقسام:

ومن أدوات التأكيد الأدبي والنفسى في القرآن هى الأقسام التى وردت كثيراً في مفتتح السور، وقد تكررت أحياناً في موضع واحد، فزادت المعنى قوة ، والعبارة روعة ، والتعبير جمالا، وهي تتفق مع الموضوع الذى افتتحه ، وتنؤىده تأييداً نفسياً ، وتنزيده في القوة والإقناع .

﴿ والنار زلات عرقاً ، والناسطات نشطاً ، والسابحات سباحاً ، فالسابحة ... سباها ، فال مدبرات أمراً ، يوم ترجم الراجمة ، تتبعها الراشفة ، قلوب يومئذ واجفة ، أبصراً لها خاشعة ﴾ (النار زلات)

﴿ والذين والزيدين وطور سنين ، وهذا البلد الأمين ، لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ، ثم ردناه أسفل ساقلين ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحت فلهم أجر غير منون ، فما يكذبكم بعد بالدين ، أليس الله بأحكم الحاكمين؟ ﴾ (الذين)

﴿ فلا أقسم بموقع النجوم ، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾ (الواقعة)
 ﴿ لا أقسم بيوم القيمة ، ولا أقسم بالنفس الملوامة ، أیحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ، بل قادرین على أن نسوی بناته ﴾ (القيمة)

فروق المعنى ودقائقها :

وفي القرآن رعاية دقيقة لفروق المعنى . فقد تختلف وتتعدد أشكال لفظ واحد أو صور استعماله . ولا يقتصر اختلف أشكاله على جمال لفظي فحسب ، بل تكون وراءه نكت معنوية بد菊花 ، تدل على بلاغة القرآن وأسلوبه المعجز المدهش ، كما في بناء كلمة "نعمـة" فعند ما استعملها القرآن مكسورة

الفاء استعملها في موضع المد ، وعند ما استعملها مفتوحة الفاء كانت في
موضع الذم .

وكم في كلمة "الريح" فعندما استعملها مفردة أراد العذاب ،
وعندما استعملها جمعاً استعملها رحمة وإنعاماً .

وكم في كلمتي "على وعال" فقد استعمل الأول في موضع الخير . أما
الثاني فقد استعمله في موضع السوء بوجه عام ، وهناك أمثلة كثيرة لفروع
المعانى ، ولها أصناف وألوان عديدة مختلفة في القرآن .

صوتية الألفاظ :

ومن جمال عبارة القرآن هي رعايته للأثر الصوتى الذى تتركه الكلمة
على نفس المخاطب ، فإنه يراعى في ذلك أيضاً الجو النفسي والوجدانى
للمخاطب في كثير من الأحيان . فتؤثر الكلمة على ذهن المخاطب بشكلها
ومبناتها نفس التأثير الذى يؤثر به معنى الكلمة .

ككلمة "إثاقلتكم" لمعناها في آية ﴿ مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل
الله إثاقلتكم إلى الأرض ، أرضيتم بالحياة الدنيا ، الع ﴾ .

وككلمة "دمدم" لمعناها في آية ﴿ كذبت ثمود بطغواها إذ انبعثت
أشقاها ، فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها ، فكذبواه فعقروها . فدمدم
عليهم ربهم بذنفهم فسوهاها ﴾ وككلمة "هواء" لمعناها في ﴿ أفتئتم هواء ﴾
وكلمة "دكا دكا" لمعناها المستعمل فيه ، وكلمات "يتفطرون" و "تنشق" و
هذا في آية ﴿ تقاد السموات يتفطرون منه ، وتنشق الأرض وتخر الجبال هذا
أن دعوا للرحمٰن ولدًا ، وما ينبغي للرحمٰن أن يتخذ ولدًا ﴾ .

التشريع :

والتشريع من أهم موضوعات القرآن ، وقد شغل منه مكاناً واسعاً ،
وأسلوبه فيه أسلوب هادئ حكم وقوى مقنع .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَىٰ . الْحَرُّ بِالْحَرِّ
وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَىٰ بِالْأَنْثَىٰ ، فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخْيَهُ شَيْءٌ فَاتِّبَاعُ
الْمَعْرُوفِ وَإِذَا إِلَهُ بِالْإِحْسَانِ . ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّنْ رِبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ . فَمَنْ اعْتَدَىٰ
عَذَابَ أَلِيمٍ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حِيَاةٌ يَا أُولَئِكَ الْأَبْلَافُ ، لَعْلَكُمْ تَتَّقَوْنَ ﴾ (البقرة) .
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينِنَّ إِلَى أَحْلِ مَسْمَىٰ فَاكْتُبُوهُ ،
وَلَا يَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ، وَلَا يَأْبُ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبْ كَمَا عَلِمَ اللَّهُ
فَلِيَكُتُبْ ، وَلِيَمْلِلَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ ، وَلِيَتَقَوَّلَ اللَّهُ رَبُّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا . فَإِنَّ
كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًّا أَوْ ضَعِيفًّا أَوْ لَا يُسْتَطِعَ أَنْ يَمْلِلَ هُوَ فَلِيَمْلِلَ وَلِيَهُ
بِالْعَدْلِ . وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رِجَلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ
مِنْ تَرْضُونَ مِنَ الشَّهِيدَاءِ أَنْ تَضْلُلَ إِحْدَاهُمَا فَتَذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ . وَلَا يَأْبُ
الشَّهِيدَاءِ إِذَا مَا دَعُوا ، وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًّا أَوْ كَبِيرًّا إِلَى أَجْلِهِ . ذَلِكُمْ
أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَا تَرْتَابُوا ﴾ (البقرة) .

القصص :

وكذلك نجد في القرآن قصصاً كثيرة لحياة الدعوة وجهود الأنبياء ورد
آمدهم عليهم ، وهي تشتمل في مختلف الموضع على مختلف الأساليب
القصصية ، منها عرض مشاعر الحنان والانتسابات البشرية الدقيقة وكل
ذلك على النسق البلجيق ، حسب النفسية والمراد ، ونجد أمثلتها في سور قرآنية

كثيرة مثل "البقرة" و "الأعراف" و "يوسف" و "هود" و "الكهف" و "مريم" و "الأنبياء" و "القصص" وغيرها.

الموعظة والهداية :

وهي أهم موضوع قرآنى وكثيراً ما تختتم آياته به ويتخللها أيضاً، وقليماً تخلو آيات القرآن منها، وهو أيضاً من أسباب ازدياد الروعة الأدبية في الآيات مع عرضه الرئيسي للمقصود.

وبعد فإن الاستيعاب بصور التعبير القرآني الجميل الكثيرة صعب ومستحيل ولم نسوق فيما سبق إلا نزراً قليلاً منها لتكون إشارة بسيطة إلى قوة التعبير القرآني، وحمله وإعجازه، ومن أراد التوسع فعليه تلاوة القرآن والتذير فيه بنفسه.

تأثير القرآن في الأدب:

ودوى المسلمين بالقرآن دوى النحل، وتذوقوه في موضوعه وأسلوبه، وتشربوا روحه، واتخذوه إماماً في الأدب وتلاوة في الصلاة وقانوناً يحكم فيما يعرض من أحداث، ومادة لغة وشاهداً على صحة التعبير وجودة الأسلوب، وكان أثراه في النثر أكثر من الشعر، فإن الأول قد قصر استفادته واقتباسه على القرآن، وحديث الرسول عليه السلام، أما الثاني: فقد كان أصل اقتباسه من الشعر الجاهلي، مع الاستفادة بأدب القرآن أيضاً.

اباب الثاني



الفصل الأول

النثر وأعلامه

نمو النثر وقوته :

بتأثير القرآن وبتأثير قيم الحياة الجديدة ومقتضياتها بدأ النثر ينمو ويقوى منذ هذا العصر ، وتوسيع نطاقه أكثر من ذي قبل ، واستمر له ذلك حتى وصل إلى ما وصل إليه من الغزارة والكمال ، والبراعة ، والجمال .
كان النثر في هذا العهد أكبر مقداراً وأوسع مدى لكونه مجالاً للدين الجديد والتوجيهات الدعوية والتربوية والتشريعية التي حفل بها كلام الرسول ﷺ وصحابته الكرام ، ففاق في الجودة والمقدار على نثر العهد الجاهلي كثيراً جداً .

يمتاز النثر في هذا العهد النثر في العهد الجاهلي في أمور ، منها:

- ١ - إنه كان موثوق الرواية ثبتاً أكثر ، لاهتمام ناقليه بالصدق والدقة .
- ٢ - وكان يحمل قوة ونفعاً وتأثيراً واستفادةً في أغراضه وأساليبه من القرآن الكريم .
- ٣ - وكان أفعى الفاظاً وأسهل تركيباً وأعذب تعبيراً وأمن سبكـاً وأبرع دلالةـ وآنـقـ دـيـاجـةـ .

وغلبت عنابة المسلمين بالنشر على عنایتهم بالشعر، وذلك لأسباب، منها:

ـ سقوط مكانة الشعراء في نفوس الناس لتكسبهم بالشعر مثل الأعoshi والتابعة وغيرهما.

ـ وتعرض الشعراء لرسول الله ﷺ بالهجاء وهو هو في نفوس العرب المسلمين، ونهى رسول الله ﷺ عن الشعر إذا كان يخدم أغراضًا خسيسة وكان ذلك بصورة غالبة في ذلك الحين، فبهذا وبذلك ضعفت أهميته في نفوس المسلمين.

ـ وتعرض الشعراء بعضهم لبعض بالهجاء القبلي فكان يثير ذلك الأحقاد فيما بينهم ، وكانوا يفحشون في الغزل فمنع رسول الله ﷺ من ذلك حتى ورد في كلامه " لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خيراً من أن يمتلئ شعراً " فاحترز عدد من الصحابة رضي الله عنهم عن قول الشعر.

ـ ثم بهر العرب ببلاغة القرآن وإعجازه التعبيري وهو في النثر ثم شغلو بالفتوج فلم يتسع وقتهم لأن يشغلوا بالشعر فضعف عکوفهم عليه . وفي نفس الوقت احتاج المسلمون إلى الخطابة للاستفادة بها في سبيل الدعوة ولتحميس الجندي للوعظ ومخاطبة الجماهير ولأعمال دينية وسياسية ومدنية .

النثر الفنى في هذا العهد:

كان أبرز أقسام النثر الفنى في العهد الجاهلى هي الخطبة والوصية .

وكانتا تشتغلان بوجه عام على أقوال حكمة ، والأمثال والأسجاع وشيء قليل من الروايات ، ولما جاء الإسلام استخدم هذه الأقسام النثرية كلها في أهداف

الدين الجديد ، وفي أغراض الحياة الجديدة المتطورة ، وزاد فيها قوة وانسجاماً، وذلك لتأثير المناهج والصور الجديدة التي ظهرت في نص القرآن العربي المقدس ، وقوية الخطابة في هذا العهد ، وعظام استخدامها في شؤون الحياة الاجتماعية والخلقية الجديدة ، وأصبحت تلعب دوراً كبيراً في خدمة الدين الجديد ، وبناء المجتمع الإسلامي ، وتطورت الوصيّة ، ونشأت على غرارها العهود والعقود والرسائل فيما بعد ، ونشأت بعض أصناف النثر الأدبية الأخرى أيضاً مثل التوقيعات ، وهي تشبه الأمثال والأسجاع بعض الشبيه .

محمد رسول الله - ﷺ

كلامه خير نموذج لأدب النثر العربي

خير النماذج النثرية وأبلغها بعد بدء تأثير الإسلام والقرآن على الأدب العربي ولغته بدون أن يتأثر بتيارات أدبية مقارنة خارجية هي ما أثر عن رسول الله - ﷺ - وهو صاحب حياة نقية طاهرة . ولد في أقصى القبائل العربية قريش ، وربى في أفحصها أيضاً ، وهى بنو سعد ، ثم تربى على الوحى الإلهى والإلهام السماوى ، ثم تعلم من مأدبة القرآن أحسن تعلم . فمن يكون أذب لفظاً وأحلى منطقاً وأصدق كلاماً وأبلغ عبارة منه - ﷺ - .

وكلامه هو الدعامة الرابعة من دعائم أدب العهد الجديد الذى كان لها تأثير في تكوين هذا الأدب ، وقد صبغه بالصبغة الجديدة . ورسم له منهاجاً أدبياً خاصاً تجلى في كلام من يبرز في هذا العهد من رجال الكلام المؤثر الطبيع . وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى من قريش ، وقريش أشرف قبائل العرب لسدانتهم للكعبة . وهى مكان عبادة العرب في البلد الأمين مكة التي كانوا يحجون إليها فيبطوفون بالكعبة ويسيعون بير الصفا والمروة . وكان فرع رسول الله - ﷺ - من قريش أكبر فرع وأشرفه . وكان لأبائه مهابة ومحبة في قلوب العرب أكثر . ولد - ﷺ - في عام الفيل . ووالده توفي وهو في بطنه أمه فكفله جده . وتوفيت أمه وهو ابن ست سنين . وتوفي جده وهو ابن ثمانين سنين فكفله عمه

أبوطالب ورضع في بنى سعد ، وهى قبيلة من عليا هوازن ، وتعد من فصاء القبائل ، فربى وترعرع في مهد الفصاحة إلى أن بلغ أربعين سنة فنزل عليه الوحي ، واستمر ينزل عليه ثلثا وعشرين سنة فكان أعظم منهل بيانى له بحسب كونه منهلاً تريوياً وتوجيهياً دينياً .

وتوفي رسول الله - ﷺ - عمره ثلاثة وستون سنة وترك حين وفاته مات الآلاف من أتباعه تربى عليه الألوف منهم .

كلامه نثر وليس شعراً:

نوصوص رسول الله - ﷺ - الأدبية هي كلها من النثر . ولم يقل شعراً قط ، ويشهد بذلك كتاب الله - تعالى - أيضاً ، بقوله : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له ، إن هو إلا ذكر وقرآن مبين » غير أنه كان يملك معرفة وبصيرة تامة بالشعر . وقد سمعه من صاحبته ، واستحسن الحسن منه وأبدى فيه رأيه . وأمر باستخدامه عندما وجد الحاجة ماسة إليه كوسيلة للتاثير والإقناع لها أهمية في ذلك المجتمع .

خصائص كلامه وأصنافه :

كلامه نثر مرسل ، وبديع أيضاً ، سهل مأخذة ، وعذب مزدود . وجمع معانى غزيرة في حمل قصيرة . هو موجز في موضع الإيجاز ، ومسهب في موضع الإسهاب ، ولم يكن يتكلفه تكلفاً ، بل كان يتكلم عن سجية نفسه . يهجر الغريب الحوشى . ويرغب عن المجهين السوقي .

واشتمل كلامه على أصناف أدبية عديدة من ثقليات بارعة . وحكم عالية . وأمثال رائعة . ووحايا نافعة . واشتمل على معانى التوجيه والإرشاد .

والتشريع والتربية ، فكان مادة غزيرة للغة وأمثلة رفيعة للأدب ، وثروة قيمة للأخلاق .

أبرز أقسامه الأدبية :

وأبرز أقسام كلامه هي أحاديثه وخطبه وأدعيته ، ولم يخل كلامه من نماذج الرسائل والعبود والعقود أيضًا .

أحاديثه :

أما أحاديثه فقد اشتملت على مختلف أصناف الكلام ، وقد حفظ لنا التاريخ منها ثروة للدين والمعرفة والأدب ، اشتملت على مختلف جوانب حياته وحياة عصره ، ورواها طائفة من أصحابه الصادقين - رضي الله عنهم وأرضاهم - وهي تجمع معانٍ كثيرة في ألفاظ قليلة مع وضوح وبيان ، قال - عليه السلام - وهو من كلامه البديع .

"إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدودًا فلا تعتدوها . وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم ، من غير نسيان . فلا تبحثوا عنها " وقال : " إن الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال " . وقال : " بادروا بالأعمال سبعاً ، هل تنتظرون إلا فقرًا منسياً أو غنى مطعيناً أو مرضًا مفسداً ، أو هرماً مفنداً ، أو موتاً مجهاً ، أو الدهال فشر غائب ينتظر ، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر " .

وقال : " أمرني ربى بتسع أوصيكم بها . بالإخلاص في السر والعلن . والعدل في الرضا والغضب ، والقصد في الغنى والفقير ، وأن أعفو عن كل مني . وأعطي من حرماني ، وأصل من قطعني ، وأن يكون صمتى فكرًا . ونطقي ذكرا .

ونظرى عيراً .

أما أدبه المرسل فمثاله حديثه - ﷺ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال : " من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيمة ، ومن يسر على معاشر سير الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه . ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقاً إلى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ، وينتدارسوه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة . وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطا به عمله لم يسع به نسبه " (رواه مسلم) .

نَمَثِيلَاتِهِ :

قال : " إن مثل ما يبعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير . وكان منها أحاديب أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس ، فشربوا منها . وسقوا ، وزرعوا . وأصاب طائفة منها أخرى ، إنما هي قيungan لا تمسك ماء . ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه في دين الله ، ونفعه ما يبعثنى الله به . فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به " .

خَطَابَتِهِ :

أما خطبه فقد اشتغلت على متانة القديم وسدا جته، وغزارة الجديد وسهولته . تشمل على كلام فصل وكلمة جامعة فكانت مؤثرة . وقوية تهز

النفس . وغزيرة المعنى تحوى حكمة وموعظة وروعة أدبية ، وهنا نسوق مثلا
لإحدى خطبته الساذجة .

خطب في حجة الوداع وهو في منى ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
”أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وأحثكم على طاعته . واستفتح بالذى هو خير .
أما بعد ! أيها الناس اسمعوا منى أبين لكم ، فإننى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد
عامي هذا في موقفى هذا ، أيها الناس ، إن دمائكم وأموالكم حرام عليكم ، إلى
آن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، ألا هل
بلغت . اللهم اشهد . فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، وإن
ربا الجاهلية موضوع ، وأول ربا أبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب ”
وقال : ”أيهالناس ، إنما المؤمنون إخوة ، ولا يحل لأمرئ مال أخيه إلا
عن طيب نفسه منه ، ألا هل بلغت ، اللهم اشهد ، فلا ترجعن بعدي كفارا ،
يضرب بعضكم رقاب بعض ، فإنني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تتضروا
بعده : كتاب الله ، ألا هل بلغت ، اللهم اشهد ”.

”أيها الناس : إن ربكم واحد وإن أباكم واحد . كلكم لأدم وأدم من
تراب . أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربي على عجمى فضل إلا بالتقوى ،
ألا هل بلغت . وقلوا نعم ، قال : ألا فليبلغ الشاهد الغائب ”.
وذكر أنصارى لرسول الله ﷺ : إن الأنصار وجدوا في أنفسهم على ما
رأوه من إيثار رسول الله ﷺ غيرهم عليهم في توزيع الغنائم .

فأثاهم رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهل له ثم قال : ”يا
معشر الأنصار ما قالة بلغتنى عنكم ، وجدة وجدتكموها في أنفسكم ؟ ألم أنكم
صللا فهداكم الله بي . وعاللة فاغناكم الله بي . وأعداء فآلف الله بين قلوبكم ؟

قالوا : الله ورسوله أمن وأفضل ، ثم قال : ألا تجربونى يا معاشر الأنصار .
 قالوا : بماذا تجرب يا رسول الله ، الله ولرسوله المن والفضل ، قال أما والله لو
 شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتم ، أتيتنا مكذبا فصدقناك ومخدولا فنصرناك .
 وطريدا فأويناك ، وعائلا فواسيناك ، أو وجدتكم على يا معاشر الأنصار في
 أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت به قوماً ليسوا ، ووكلتم إلى إسلامكم ، ألا
 ترضون يا معاشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء والبعير ، وترجعون برسول
 الله إلى رحالكم ، فوالذي نفس محمد بيده لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به .
 ولو لا الهجرة لكنت امراً من الأنصار ، ولو سلك الناس شعباً وادياً وسلكت
 الأنصار شعباً وادياً سلكت شعب الأنصار واديها .
 الأنصار شعار والناس دشار ، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار .
 وأبناء أبناء الأنصار ، قال فبكى القوم حتى اخضلوا لحاظهم ، وقالوا رضينا
 برسول الله ﷺ قسماً وحطأ .

أدعية :

أما الأدعية فكانت صنفاً جديداً ظهر لأول مرة في الأدب العربي .
 امثلاً لتعليم القرآن ، واتبعها لما قصه القرآن عن عباده الصالحين . وكانت
 من أقوى أصناف الأدب .
 وأدعنته - ﷺ - خير نموذج وأقواه في هذا الصدد ، وأسلوبها أسلوب
 محكم غزير ، يصور نفس الداعي ، وعاطفته الحياشة ، وضراعته وتواضعه بين
 يدي ربه ، في بلاغة عجيبة .
 وهذا دعاؤه الذي دعا به في الطائف . وقد كان غريباً فيها بعيداً عن

الوطن ، جاء إليها ملتمساً لمن يساعدها بالنصرة ، بعد أن كان عمّه أبو طالب قد توفي ، وكان يحرسه من أذى قومه ، وكانت زوجته خديجة توفيت أيضاً . وكانت تؤازره وتعزى نفسه ولكنه لم يجد من أهل الطائف ، وهي المدينة الأخت لـ مكة ، إلا أشد مما وجده في مكة من رفض قاس من سادتها . ومنتابعـة الأشـراءـ له ، ورميـهم إـيـاهـ بالـحـجـارـةـ إـلـىـ أنـ دـمـيـتـ رـجـلاـهـ ، وـبـلـغـ منهـ التـعبـ مـبـلـغـهـ ، فـلـمـ خـرـجـ مـنـ عـمـرـانـ الطـائـفـ ، وـلـمـ يـكـنـ اـسـتـرـاحـ حـتـىـ بـرـهـةـ منـ الـوقـتـ بـعـدـ سـفـرـهـ الشـاقـ الطـوـيلـ منـ مـكـةـ جـلـسـ فـيـ مـكـانـ خـارـجـىـ لـمـ يـكـنـ لـهـ فـيـهـ مـنـ النـاسـ مـوـاسـ وـلـأـنـيـسـ إـلـاـ خـادـمـهـ وـمـوـلـاهـ زـيـدـ بـنـ حـارـثـةـ - عـيـدـ - دـعـاـ بـهـذـاـ الدـعـاءـ الـذـىـ كـانـ مـرـأـةـ أـدـبـيـةـ صـادـقـةـ لـنـفـسـهـ الـمـكـلـوـمـةـ الـلـيـثـةـ بـالـشـعـورـ بـالـأـلـمـ مـعـ الـمـحـافـظـةـ عـلـىـ الـعـبـودـيـةـ لـرـبـهـاـ وـخـالـقـهـاـ .

" اللهم إـلـيـكـ أـشـكـوـ ضـعـفـ قـوـتـيـ ، وـقـلـةـ حـيـلـتـيـ ، وـهـوـانـىـ عـلـىـ النـاسـ رـبـ الـمـسـتـضـعـفـينـ إـلـىـ مـنـ تـكـلـنـىـ ، إـلـىـ بـعـيدـ يـتـجـهـمـنـىـ ، أـمـ عـدـوـ مـلـكـتـهـ أـمـرـىـ . إـنـ لـمـ يـكـنـ بـكـ عـلـىـ غـضـبـ فـلـاـ أـبـالـىـ ، غـيـرـ أـنـ عـاـفـيـتـكـ هـىـ أـوـسـعـ لـىـ . أـعـوـذـ بـنـدرـ وـجـهـكـ الـذـىـ أـشـرـقـتـ لـهـ الـطـلـمـاتـ ، وـصـلـعـ عـلـيـهـ أـمـرـ الدـنـيـاـ وـالـآخـرـةـ ، مـنـ أـنـ يـحلـ بـيـ غـضـبـ أـوـ يـنـزـلـ عـلـىـ سـخـطـكـ ، لـكـ العـتـبـىـ حـتـىـ تـرـضـىـ ، وـلـاـ حـولـ وـلـاـ قـوـةـ إـلـاـ بـكـ " .

وهـذـاـ دـعـاؤـهـ فـيـ عـرـفـاتـ :

" اللهم إـنـكـ تـسـمـعـ كـلـامـيـ ، وـتـرـىـ مـكـانـيـ ، وـتـعـلـمـ سـرـىـ وـعـلـابـىـشـىـ . لـاـ يـخـفـىـ عـلـيـكـ شـىـءـ مـنـ أـمـرـىـ ، وـأـنـاـ الـبـائـسـ الـفـقـيرـ الـمـسـتـغـيـثـ الـمـسـتـجـيـرـ . الـوـجـلـ الـشـفـقـ . الـقـرـ الـعـتـرـفـ بـذـنـبـهـ . أـسـأـلـكـ مـسـأـلـةـ الـمـسـكـينـ . وـأـبـتـهـلـ إـلـيـكـ اـبـتـهـالـ الـذـنـبـ الـذـلـلـ . وـأـدـعـوكـ دـعـاءـ الـخـائـفـ الـضـرـيرـ . وـدـعـاءـ مـنـ خـضـعـتـ لـكـ رـقـبـتـهـ .

وفاقت لك عبرته ، وذل لك جسمه ورغم لك أنفه. اللهم لا تجعلني بدعائك
شقياً وكن لي رؤوفاً رحيمـاً ، يا خير المسؤولين ، ويا خير المعطـين ”.

أقواله السائرة :

الآن حمى الوطيس - هدنة على دخن - يا خيل الله اركبى - لا ينتفع
فيه عنزان - رويدك رفقاً بالقوارير - هذا يوم له ما بعده - وغيرها من الأقوال .
ومما لاشك فيه أن نصوص بلغاء الناس إنما تشير إلى خصائصهم
الذاتية والموضوعية والأدبية . وتجلو لنا كثيراً من ملامح شخصياتهم النفسية
والفكرية والوجدانية والأدبية ، وتصور أصحابها تصويراً لفظياً يتبيّنه كل من
يقرؤها ويدرسها . وهو الذي يتجلّى من نصوص رسول الله - ﷺ - من سمو
النفس ونقاء الصدر ، ودقة النظر وصدق الشعور وصفاء الديباجة وجمال
القصد وبلاعة القول .

الفصل الثاني

نصوص النثر الفنى للأخرين من هذا العهد

سار النثر سيره على هذا الخط يتسع ويتتنوع مزداناً بالخصائص الفنية الجديدة التي وجدت فيه ، تبعاً للأحوال الجديدة وبتأثير أدب القرآن ونصوص الرسول - ﷺ .

وظهرت نماذج هذا النثر في الخطب والุมود والرسائل والتوقعات بصورة عامة ، كان من خصائصه الإيجابية والتفكير وموافقة الواقع ، وتمثل الحياة العربية الإسلامية المترفة إلى الرقى والعلم والقوة والازدهار .

الخطابة :

واعتمد النثر الفنى في هذا العهد على الخطابة أكثر من غيرها ، لأن الأعراض الغالية في هذا العهد كانت الدعوة والإصلاح والإدارة والسياسة والحكم ، وتعمل فيها الخطابة أكثر من غيرها .

واختلفت الخطابة في هذا العهد منها في الجاهلية في أغراضها ومعاناتها بمثلاً وقع للشعر أيضًا إلى مدة من الزمن ، ولكن ظل أسلوبها على منهجه يقارب النهج الجاهلي لها وهو قصر في الخطاب والإيجاز في الجمل مع شيء كثير من الموارنة ، وشيء قليل من السجع واقتباس أو تضمين للأمثال وما أشدها ، واستفادت الخطابة في هذا العهد من نفحات البيان القرآني واتخذت الأسوة لها من خطابة الرسول ﷺ . وهو صدق في القول ونصيحة للمخاطبين .

ومن أبرز من نجد نماذج خطابتهم في هذا العهد الخلفاء الراشدون وبخاصة منهم أبو بكر الصديق ، وعمربن الخطاب ، وعلى بن أبي طالب - رضي الله عنهم - .

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

سيرته وأخلاقه :

هو عبد الله أبو بكر بن أبي قحافة ، ولد عام ٥٥ ق هـ (٥٦٨ م) في مكة في أسرة وجيئه من قريش وهي تيم ، فشب ذا مكانة في قومه عارفاً بالأنساب مسموع القول ، وكان يعمل في التجارة ولذلك كان على شيء من اليسار ، وكان محبياً إلى الناس ، سهل العاشرة حسن المجالسة ذا خلق و معروف ، كان أول من أسلم في الرجال ، وأمن برسول الله ﷺ ثم مضى يدعو أصحابه إلى الإسلام فأسلم على يديه خيرة أبناء قريش مثل عثمان بن عفان وطلحة بن عبد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وهو وكل هؤلاء من العشرة المبشرة بالجنة من رسول الله ﷺ ، وصدق أبو بكر ﷺ معراج رسول الله ﷺ فلقب بالصديق ، ولما كانت الهجرة إلى المدينة استصحبه رسول الله ﷺ بأمر من الله تعالى ، وكان رفيقه في الغار وذكر بهذه الصفة في القرآن.

وخلف أبو بكر ﷺ رسول الله ﷺ في إمامية الصلوات خلال مرض وفاته ، ثم اختاره المسلمون لخلافته بعد وفاته ، فقام بأمر الخلافة أحسن قيام سنتين من ١١ / إلى ١٢ للهجرة ، وكان من أهم ما قام به من الأعمال في هذه المدة هو إخماد فتنة الردة التي كانت استفحلت إثر وفاة الرسول ﷺ . وأرسل الجيوش للفتوح وجمع القرآن في مصحف واحد وكان قبل ذلك متفرقاً ، فعد بهذه الأعمال فريداً من أصحابه ، وكان شديداً على نفسه في نيل حقه من

بيت مال المسلمين ، وعاش في شطف شديد بسبب تقواه وحوفه . كان خطيباً
بلغ الكلام مقلماً جالباً للمعاني الكثيرة في عبارة وجية ، واشتمل أسلوبه على
السهولة وال坦ة ، وهي سمة خاصة من سمات أدبه وفكرة .

نموذج من خطبته :

لما توفي رسول الله ﷺ وأصبح الناس في هرج ومرج من وطأة الحادث وشدة
الفاجعة حضر أبو يكرب رض وخطب أمام الحاضرين خطبة مؤثرة قال فيها :
"أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمدًا
عبده ورسوله ، وأشهد أن الكتاب كما نزل ، وأن الدين كما شرع ، وأن الحديث
كما أحدث ، وأن القول كما قال ، وأن الله هو الحق المبين " في كلام طويل ثم قال :
"أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان
يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، وأن الله قد تقدم إليكم في أمره فلا تدعوه
جزعاً ، وأن الله قد اختار لنبيه ما عنده على ما عندكم وقبضه إلى ثوابه .
وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه ، فمن أخذ بهما عرف ، ومن فرق بينهما انكر ،
يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ولا يشنعنكم الشيطان بموت نبيكم .
ولا يفتتنكم عن دينكم فعالجوه بالذى تعجزونه ولا تستنظروه فيلحق بكم ".
وخطب حين بايع الناس البيعة العامة .

حمد الله وأثنى عليه أولاً ، ثم قال "أيها الناس إنني قد وليت عليكم .
ولست بخيركم ، فإن رأيتموني على حق فأعينوني ، وإن رأيتموني على باطل
فسدديوني ، أطليعونى ما أطعنت الله فيكم ، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم .
ألا إن أقواكم عندى الضعيف . حتى أخذ الحق له ، وأضعفكم عندى القوى .
حتى أخذ الحق منه ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لى ولهم ".

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

سيرته وأخلاقه :

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عدى بن كعب بن لؤى القرشى . ولد نحو عام ٤٠ ق هـ (٥٨٣ م) وكان من أشرف قريش ، تعلم الكتابة وتقلب في التجارة بين اليمن والحبشة والشام والعراق حتى فخم أمره وعظم قدره . وجعلت له قريش السفارمة بينهم وبين قبائل العرب في السلم والحرب . وكان عمر في بادئ الأمر شديد العداوة للمسلمين ، فلما رأى ضجر قريش من دعوة الإسلام أراد أن يقتل النبي ﷺ ودخل في طريقه إليه على أخته فاطمة وزوجها وهما مسلمان فضريهما ولكنه لما سمع القرآن رق قلبه . وذهب إلى النبي ﷺ وأسلم بدلاً من أن يسيء إليه ، ثم أظهر شدته للإسلام كما كان أظهر شدته للكفر ، وعز المسلمين بإسلامه . ورافق عمر بن الخطاب الرسول ﷺ في جميع غزواته . وكان الرسول ﷺ يستظهير برأيه في كثير من الأمور وأبدى ثقته به كثيراً ، وهو الذي كان رشح أبي بكر لخلافة الرسول ﷺ بعد وفاته ثم اختير لخلافته من بعده .

وكان من خصائص خلافة عمر أنه نظم الحكومة ودون الدواوين وسع دولة الإسلام بالفتح ، وكان جريئاً في الحق ، حكيمًا قويًا عادلاً . وقع الجدب في زمن خلافته فكان يجتنب بطعام وقت واحد كل يوم لم تكن ترضي نفسه أن يأكل هو ويجوع الناس . وكان شديد الزهد في شأن نفسه ، شديد

التنفيذ للحق ، شديد المنع للباطل ، قتله مجوسى اسمه أبو لؤلؤ سخطا على حكم حكم به خلاف ما كان ي يريد ، فحرم الأمة الإسلامية بذلك ثانى أعظم رجال التاريخ الإسلامي . ولقد اعترف المستشرقون وعلماء الكفار أيضا بعظمته عمر بن الخطاب رض . وكان يرى إلى الحقائق وأمور الناس بالإخلاص والتضحية . ويعالج الأمور بحكمة بالغة : ولقب بالفاروق لأنه كان فارقا بين الإسلام والكفر . وكان خطيبا وأديبا يدل على ذلك خطبه وعهوده .

نموذج لخطبته :

قال طلحة بن معدان : خطبنا عمر بن الخطاب رض قال : أيها الناس إنه لم يبلغ ذوق الحق في حقه أن يطاع في معصية الله ، وإنى لا أجد هذا المال يصلحه إلا خلال ثلاث : أن يؤخذ بالحق ، ويعطى في الحق ، ويمنع من الباطل ، وإنما أنا ومالكم كولي اليتيم ، إن استغنيت استعفت ، وإن افترضت أكلت بالمعروف ، ولست أدع أحداً يظلم أحداً ويتعدى عليه حتى أضع خده على الأرض وأضع قدmi على الخد الآخر حتى يذعن للحق .

ولكم على أيها الناس خصال ، أذكرها لكم فخذلوني بها : لكم على أن لا أجيبي شيئاً من خرائكم ، ولا مما أفاء الله عليكم إلا من وجهه . لكم على إذا وقع في يدي أن لا يخرج مني إلا في حقه . لكم على أن أزيد أعطياتكم وأرزاقكم - إن شاء الله - وأسد ثغوركم ، لكم على أن لا أقيكم في المهالك ولا أحمركم في ثغوركم .

وقد اقترب منكم زمان قليل الأمناء كثير القراء ، قليل الفقهاء كثير الأمل يعمل فيه أقوام للأخرة يطلبون به دنيا عريضة تأكل دين صاحبها كما تأكل النار الحطب ، ألا كل من أدرك ذلك منكم فليتق الله ربه وليصبر .
وله نموذج رائع في العقود والعقود سنذكره في محله .

على بن أبي طالب رضي الله عنه

سيرته وأخلاقه :

ولد على بن أبي طالب عام ١٢ ق ٥٠ هـ (٦٠٠ م) استنصره رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه بنفسه ليخفف بذلك عن عمه أبي طالب ، واستنصره رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وعلى بن أبي طالب ابن عشر سنين فامض به فكان أول ولد دخل في الإسلام ، وأصبح على مكيناً عند الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه وكان يعتمد عليه في أمور كثيرة ، وزوجه فاطمة رضي الله عنها ابنته ، ففي يوم هجرة الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه إلى المدينة خلفه في مكة . ليرد الوداع التي كان عنده لأهل مكة .

واستخلف على بن أبي طالب رضي الله عنه بعد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه وظهرت خلافات سياسية بين المسلمين في أعقاب عهد عثمان رضي الله عنه وقويت واستفحلت في زمن على بن أبي طالب رضي الله عنه فمر من خلال فتن شديدة وقعت مناقشات وحروب بينه وبين معارضيه ، منها حرب الجمل وقد وقعت بينه وبين معارضيه تحت إمرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها . ومنها حرب صفين وقعت بينه وبين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما إلى أن اغتاله رجل خارجي في ١٧ / رمضان سنة ٤٠ هـ واختار المسلمون ابنه الأكبر خليفة له من بعده ، ثم تنازل الحسن بن على رضي الله عنهما عن حقه في الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان . فتم الأمر لمعاوية بن أبي سفيان وأسرته

الأموية وتركت الخلافات المذكورة آثاراً في نفوس المسلمين وأذهانهم .
وظهرت في شعر عدد من شعراء العهد الأموي .

كان على بن أبي طالب عليه خطيباً بليغاً وشاعراً وحكيماً ، وكاتب رسائل ، ورسائله تعد من أقوى وأبلغ الرسائل ، وله ديوان شعر ولكن كثيراً منه لا يمكن الحزن بصحة انتسابه إليه ، وجمع خطبه ورسائله وكلماته أحد أدباء العصر العباسي وهو الشريف الرضي ، في كتاب سماه "نهج البلاغة" .
ويرى أهل العلم أن أكثر ما في هذا الكتاب غير صحيح النسبة إلى سيدنا على ابن أبي طالب .

وخطب على بن أبي طالب فصار في الأكثر ، موجزة ، قصيرة الجمل .
متينة التركيب ، جامعة لأوجه البلاغة ، واضحة المقاصد ، تكثر فيها الكلم
الجواب .

أما الحكم التي تتخلل خطب سيدنا على فهي بارعة جداً .
ومن خطب على (كرم الله وجهه) وقد قام إليه رجل من أصحابه
فقال : نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها فلم ندر أى الأمرین أرشد . فصفق
إحدى يديه على الأخرى ثم قال :

" هذا حزاء من ترك العقدة ، أما والله لو أني حين أمرتكم بما أمرتكم
به حملتكم على المكره الذى يجعل الله فيه خيراً ، فان استقمتم هديتكم ، وإن
اعوججتم قومكم ، وإن أبيتم تداركتكم ل كانت الونقى ، ولكن من وإلى من ؟
أريد أن أداوى بكم وأنتم دائى كنا نق الشوكه بالشوكه وهو يعلم أن ضلعها
معها ، اللهم قد ملت أطباء هذا الداء الدوى ، وكأنت التزعة بأشستان الركى .
أين القوم الذين دعوا إلى الإسلام فقتلوا ، وقرأوا القرآن فأحكموه وهي جوا إلى

القتال فولهوا وله اللقاح إلى أولادها ، وسلوا السيف من أغمادها ، وأحدوا بأطراف الأرض زحفاً حفّاً وصفاً صفاً بعض هلك وبعض نجا ، لا يبشرن بالأحياء ، ولا يعزون بالموتى ، مره العيون من البكاء ، خمص البطون من الصيام ، ذيل الشفاء من الدعاء ، صفر الألوان من السهر ، على وجودهم غبرة الخاسعين .

أولئك إخوانى الذاهبون . فحق لنا أن ننظم إليهم ونعرض الأيدي على فراغهم " .

الكتابة

الرسائل والعقود والعقود :

كان العرب قد يلجنون إلى أن يرسلوا كتاباً أو يعقدوا عقوداً فكانوا يحتاجون لهذا الغرض إلى أن يخطوا ويكتبوا ، وكانت الكتابة في العهد الجاهلي عملاً نادراً لم يكن يحسنها إلا رجال يعدون على الأنامل . وهم من رأروا الأقطار المتعددة وتمكنوا من الخط والكتابة ، فكان من هؤلاء من يكتب لغيره من أصحاب الحاجة ، فقد استكتب الرسول ص عقوداً ورسائل . واستكتب القرآن الكريم . وكان له كتاب للوحى يكتبه بأمره . وحتيّ الرسول عليه السلام على تعلم الكتابة وجعل فدية أسارى بدر أن يعلموا المسلمين الكتابة .

وكتب الخلفاء الراشدون . ونشأت رسائل لعدد من أعلام ذلك العهد

وبخاصة منهم على بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقد أثرت عنه رسائل بلغة ، ومن خصائص أسلوب الرسائل في هذا العهد الفكرة الواضحة ، والكلمات المؤثرة وروعة التعبير .

وهذه رسالة لسيدنا على بن أبي طالب كرم الله وجهه ^١ تشير إلى بلاغة أسلوبه وإلى أسلوب الرسائل في عهده ، وهي رسالة أرسلها سيدنا على ابن أبي طالب إلى أنصاره أهل الكوفة في أمر سيدنا عثمان بن عفان الخليفة الثالث .

" من عبدالله على أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة جبهة الأنصار وسنام العرب ".
العرب ".

أما بعد فإنني أخبركم عن أمر عثمان حتى يكون سمعه كعيانه . إن الناس طعنوا عليه فكنت رجلاً من المهاجرين أكثر استعتابه وأقل عتابه . وكان طلحة والزبير أهون سيرهما فيه الوجيف ، وأرفق حداثهما العنيف . وكان من عائشة فيه فلتة غضب ، فأتى به قوم فقتلوه ، وبایعني الناس غير مستكرهين ولا محبرين ، بل طائعين مخيرين .

واعلموا أن دار الهجرة قد قلعت بأهلها وقلعوا بها . وجاشت (جيش) الرجل وقامت الفتنة على القطب . فأسرعوا إلى أميركم . وبادروا جهاد عدوكم ، إن شاء الله ".

وهذا كلام من موضع آخر ، اقتبسناه من رسالة له إلى أحد أمراء جشه ينصحه فيها بالزهد في الدنيا ويصف له نظره نفسه في الدنيا . وهو كلام تتجلى فيه بلاغة أسلوبه ونظرته في الحياة .

سيق ذكر نبذة حياته في مادة الخطابة .

"وَأَيْمَ اللَّهُ - يَمِينًا أَسْتَشْنِي فِيهَا بِمَشِيَّةِ اللَّهِ - لَأَرْوَضَنِ نَفْسِي رِياضَةً
تَهْشِ مَعْهَا إِلَى الْقَرْصِ إِذَا قَدِرْتَ عَلَيْهِ مَطْعُومًا ، وَتَقْنَعُ بِالْحَلْحَلِ مَأْدُومًا ، وَلَا دُعْنِ
مَقْلَتِي كَعِينِ مَاءِ نَضْبِ مَعِينَهَا ، مَسْتَفْرَغَةً دَمْوَعَهَا ، أَمْتَلِي السَّانِمَةَ مِنْ رَعِيَّهَا
فَتَبِرُكْ ؟ وَتَشْبَعُ الرِّبِيْضَةَ مِنْ عَشِبَهَا فَتَرِبِضُ ؟ وَيَأْكُلُ عَلَى مَنْ زَادَهُ فِيهِ جُعْ؟
قَرْتَ إِذَا عَيْنَهُ إِذَا افْتَدَى بَعْدَ السَّنِينِ الْمَطَاؤَلَةَ بِالْهَامِلَةِ وَالسَّانِمَةَ
الْمَرْعِيَّةَ .

طَوْبَى لِنَفْسٍ أَدْتَ إِلَى رِبِّهَا فَرَضَهَا ، وَعَرَكَتْ بِجَنْبَهَا بُؤْسَهَا ، وَهَجَرَتْ
فِي الْلَّيلِ غَمْضَهَا حَتَّى إِذَا غَلَبَ الْكَرْيَ عَلَيْهَا افْتَرَشَتْ أَرْضَهَا وَتَوَسَّدَتْ كَفَهَا ،
فِي مَعْشَرِ أَسْهَرِ عُيُونِهِمْ خَوْفُ مَعَادِهِمْ ، وَتَحَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جَنُوبَهُمْ ،
وَهُمْ هَمَتْ بِذَكْرِ رِبِّهِمْ شَفَاهُهُمْ ، وَتَقْشَعَتْ بِطُولِ اسْتَغْفَارِهِمْ ذَنُوبَهُمْ ۝ أَوْلَئِكَ
حَزْبُ اللَّهِ ، أَلَا إِنْ حَزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمَفْلُحُونَ ۝ فَاتَّقُ اللَّهَ يَا ابْنَ حَنْيفَ وَلَتَكْفُكَ
أَقْرَاصَكَ ، لِيَكُونَ مِنَ النَّارِ خَلاصَكَ " .

وَهَذَا عَهْدُ لِسَيِّدِنَا عَمَرَ بْنَ الْخَطَابِ - سَبَقَ ذِكْرَ نَبْذَةَ حَيَاتِهِ فِي مَادَةِ
الْخَطَابَةِ - أَرْسَلَهُ إِلَى عَبْدَاللهِ بْنَ قَيْسَ .

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : مِنْ عَبْدَاللهِ عَمَرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَبْدَاللهِ
ابْنَ قَيْسَ سَلامٌ عَلَيْكَ ، أَمَا بَعْدَ ! فَإِنَّ الْقَضَاءَ فِيْرِيْضَةَ مَحْكَمَةٍ وَسَنَةٍ مُتَّعِّنةٍ ،
فَافْهَمْ إِذَا أَدْلَى إِلَيْكَ فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُ تَكْلِمُ بِحَقٍّ لَا نَفَازَ لَهُ ، أَسْ بَيْنَ النَّاسِ فِي
مَجْلِسِكَ وَوَجْهِكَ حَتَّى لَا يَطْمَعَ شَرِيفٌ فِي حِيفَكَ وَلَا يَخَافُ ضَعِيفٌ مِنْ عَدْلِكَ ،
الْبَيِّنَةَ عَلَى مَنْ ادْعَى وَالْيَمِينَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ ، وَالصَّلْعَ جَاتِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا
صَلَحًا حَرَمٌ حَلَالًا أَوْ أَحْلَ حَرَامًا ، وَلَا يَمْنَعُ قَضَاءَ قَضِيَّتِهِ الْيَوْمَ فَرَاجَعَتْ فِيهِ
نَفْسُكَ ، وَهَدِيتْ فِيهِ لِرَشْدِكَ ، أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ ، فَإِنَّ الْحَقَّ قَدِيمٌ وَمَرَاجِعَهُ الْحَقُّ

خير من التمادى في الباطل . الفهم ، الفهم عند ما تلجلج في صدرك مما ليس
يبلغك في كتاب الله ولا سنة النبي ﷺ ، اعرف الأمثال والأشباه . وقس الأمور
عند ذلك ثم اعمد إلى أحبهما إلى الله ، وأشبهها بالحو فيما ترى . واجعل
للداعي حقاً غائباً أو بيته أمداً ينتهي إليه ، فان أحضر بيته أخذت له بحقه
وإلا وجهت عليه القضاء فإنه أنفي للشك وأجلى للعمى وأبلغ في العذر .

الرواية :

احتاج صحابة الرسول ﷺ أن يسجلوا أقوال الرسول ﷺ وأحواله
ليأتى به من يأتي بعدهم ، فنشأ بذلك أدب بالنشر فيه وضوح وبيان وصدق
القول ووصف بلين ، وسمى بالحديث والرواية ، واتسع بذلك في هذا العهد
النشر الأدبي ، وظهر فيه اتباع لما اقتبسه المسلمون من وضوح العبارة
وسلامتها في القرآن وأقوال الرسول ﷺ ، ولقد تحدث بأحوال الرسول ﷺ
وأقواله عدد من الصحابة رضي الله عنهم ، نعرض هنا نموذجين أحدهما لام
المؤمنين عائشة بنت أبي بكر زوجة الرسول عليه السلام الأثيرة لديه وثانيهما
لحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم .

روت عائشة زوج النبي ﷺ ^١ فقالت : لم أعقل أبوي قط إلا وهما

هي عائلة أم المؤمنين زوج رسول الله ﷺ الخيبة إليه تكتسى باسم عبدالله . كتبت
بنت خبيبة رسول الله ﷺ أبى بكر الصديق . ومن أكبر فقهاء الصحابة . وقد
روت بكثير من أحاديث رسول الله ﷺ ، فقد روت من الأحاديث ما تربو على
مائتين وألف حديث . وكان فقهاء أصحاب رسول الله ﷺ يرجعون إليها . فقد
تفقه بها جماعة . بنى بها النبي ﷺ في شوال بعد وقعة بدر . نزلت الآية في تبرتها .
وعاشت حمساً وستين سنة . قال عروة : ما رأيت أحداً من الناس أحبه بالقرآن

يدينان الدين ، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشية ، فلما ابتلى المسلمين خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى إذا بلغ بر크 الغمام لقيه ابن الدغنة - وهو سيد القارة - فقال أين تريد أبا بكر؟ فقال أبو بكر ، أخرجنى قومى فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربى ، قال ابن الدغنة فان مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج ، إنك تكسب المعدم وتصل الرحيم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فأنا لك جار ، ارجع وأعبد ربك بيتك ، فرجع وارتحل معه ابن الدغنة ، فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش ، فقال لهم : إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج ، أتخرجون رجلاً يكسب المعدم ويصل الرحيم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق ؟ فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة ، وقالوا لابن الدغنة من أبا بكر فليبعد ربه في داره فليصل فيها وليرأ ما شاء ، ولا يؤذينا بذلك ، ولا يستعلن به فإننا نخشى أن يفتن نساعنا وأبناءنا فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر فلبت بذلك يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره .

ثم بدا لأبي بكر فابتلى مسجداً بفناء داره وكان يصلى فيه ، وقرأ القرآن فيتقذف عليه نساء المشركين وأبناءهم ، وهم يعجبون منه وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلاً بكاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن ، وأفرز ذلك أشرف قريش من المشركين فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا إننا كنا أحرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتلى مسجداً

- ولا بغير ضمة ولا بحال وحرام ولا بشعر ولا بحديث العرب ولا النسب من عائشة رضي الله عنها ، توفيت في سنة ثمان وخمسين ، (تذكرة الحفاظ ، والإصابة والأعلام) .

بغاء داره فأعلن بالصلوة والقراءة فيه وإننا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا
فانهه ، فان أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل وإن أبي إلا أن
يعلن بذلك فسله أن يرد إليك ذمتك فإننا قد كرهنا أن نخفرك ولسنا مقررين
لأبي بكر الاستعلان .

قالت عائشة فأتي ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال قد علمت الذى
عاقدت لك عليه فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترجع إلى ذمتك ، فإنى لا
أحب أن تسمع العرب أنى أخترت في رجل عقدت له ، فقال أبو بكر فإنى
أرد إليك جوارك وأرضي بجوار الله .

والنبي ﷺ يومئذ بمكة فقال النبي ﷺ لل المسلمين إنى أريت دار
هجرتكم ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة
ورجع عامدة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة ، وتجهز أبو بكر قبل
المدينة ، فقال رسول الله ﷺ على رسن ، فإنى أرجو أن يؤذن لي فقال أبو بكر
وهل ترجو ذلك بأبى أنت ؟ قال نعم فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ
ليصحبه وعلف راحلتین كانتا عنده ورق السمر - وهو الخيط - أربعة أشهر .
وهذه رواية الحسن بن علي بن أبي طالب ^١ وصف فيها

هو الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب حد رسول الله ﷺ وكان ابن بنت
قاضمة رضى الله عنها ورخيانته وكان يكتنى بأبى محمد ، بوريء بالخلافة في المدينة
المنورة بعد وفاة والده على بن أبي طالب الخيفية الرابع ثم تنازل عن الحكم معاونا
ابن أبي سفيان رضى الله عنهما ضبا لإزالة التفرق بين المسلمين ومنعا بسفت دماء
المسلمين .

ولد في نصف شهر رمضان سنة ثلث من الهجرة وقيل سنة أربع وقيل غير ذلك .
روى عن النبي ﷺ أحاديث حفظها عنه . قال رسول الله ﷺ عنه وعن أخيه -

رسول الله ﷺ قال :

"لم يكن فاحشاً متفحشاً ولا صخباً في الأسواق ، ولا يجرى السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ، ما ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله ، ولا ضرب خادماً ولا امرأة ، ما رأيته منتصراً من مظلمة ظلمها قط مالم ينتهك من محارم الله تعالى شيء ، فإذا انتهك من محارم الله تعالى كان أشدهم غضباً ، وما خير بين أمرتين إلا اختار أيسرهما ، (وإنما دخل بيته) كان بشراً من البشر يغسل ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه .

كان يحزن لسانه إلا فيما يعنیه ، ويؤلفهم ولا ينفرهم ، ويكرم كل قوم ويوليه عليهم ، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوى على أحد منهم بشره ولا خلقه ، ويتفقد أصحابه ويسأل عما في الناس ، ويحسن الحسن ويقويه ، ويقعق القبيح ويوجهه ، معتدل الأمر غير مختلف ، ولا يغفل مخافة أن يغفلوا ويملاوا ، لكل حال عنده عتاد ، لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه ، الذين يلونه من الناس خيارهم ، أفضلهم عنده أعمهم نصيحة وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مؤاساة ومؤازرة ، لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر ، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ، ويأمر بذلك ، يعطى كل جلساًه بنصيبه ، لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه ، من جالسه أو فاوذه في حاجة صابره

الحسين بن علي عليهما السلام هذان ابني وابنا بنتي اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما .

وكان يشبه رسول الله ﷺ في الأعلى من جسمه ، وقال عنه رسول الله ﷺ إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فتنين من المسلمين ، توفي سنة حمدين وقيل في إحدى وخمسين من الهجرة (الإصابة وغيره من الكتب) .

حتى يكون هو المنصرف ، ومن سأله حاجته لم يرده إلا بها أو بيسور من القول . قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا ، وصاروا عنده في الحق سواه ، مجلسه مجلس علم وحياة وصبر وأمانة ، لا ترفع فيه الأصوات ، ولا تؤبن فيه الحرم ، ولا تنسى فلتاته ، متعادلين يتفاصلون فيه بالتقوى ، متواضعين يو قرون فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير ويؤثرون ذا الحاجة ويرحظون الغريب ."

الباب الثالث



الفصل الأول

الفصل الأول

الشعر في صدر الإسلام

خف إقبال الناس على الشعر عند ما انتشر الإسلام فيهم بتأثير مقتضيات الحياة الجديدة التي جاءهم بها الإسلام ، فقد شغلتهم شؤونهم وهمومهم وأفكارهم الجديدة ، وتغير بها مجرى سلوكهم وحياتهم ، فلم يكن يسعهم أن يستغلو بالشعر، بمثلكم اشتغلوا به في العهد الجاهلي .

ثم كان من أسباب ذلك أن القرآن الكريم ذكر الشعراء بالنعى على ما كانوا يقومون به بشعرهم من الفساد والإفساد ، فقال : « والشعراء يتبعهم الغاون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا ».

ثم كان من تأثير نزول القرآن الكريم في بلاغة معجزة ، وبأسلوب رائع معجب ، أن كشف به بريق الشعر الخلاق ، ووجد المسلمون في بيان القرآن معرفة وهداية وعدوية للتعبير ، وبجنب ذلك كله عظمت حاجة الحياة الجديدة في هذا العهد إلى الخطابة واشتد اعتمادهم عليها .

فهذا كله كان مما جعل إقبال الناس على الشعر قليلاً ولكنهم لم يتركوه بتاتاً ، بل لجأوا إليه كلما مست حاجتهم إليه بتحفظ واحتياط ، وفي الحدود التي رسمها لهم القرآن الكريم ، كما ظهر في شعر الصحابة رضي الله عنهم .

ولقد سمع المسلمون أن الرسول ﷺ نهى على الإقناع والإفحاش وإثارة الأحقاد بالهجاء بقوله : " لأن يمتليء جوف أحدكم قيحاً ثم يربه خير له من أن يمتليء شعراً " غير أنهم سمعوا أيضاً أن الرسول - ﷺ - استند الشعر واستحسنه وتأثر به ، فقد استند شعر أميمة بن أبي الصلت واستزاده ، وقال : " آمن لسانه وكفر قلبه " وسمع شعر قتيلة بنت الحارث التي قالت في شأن هنخنل أخيها النضر بن أثمارث الذي ناوا الإسلام وهجا رسول الله - ﷺ - فأهدر دمه ، ولما سمع شعر أخيه فيه تأثر به وقال : لو سمعته قبل قتله لصفحت عنه ، وقبل شعر كعب بن زهير ، وخلع عليه بردته الشريفة ، ولقد طلب الرسول - ﷺ - من شعراء صحابته استخدام الشعر للذب عن الإسلام وقال : إنه أشد عليهم من النبل .

ف بذلك كله عرف المسلمون نظرة الإسلام إلى الشعر ، وهي استحسان صالحه وجواز قرره وتجنب قبيحه ، فواصل الصحابة قول الشعر وإنشاده . ومع ذلك لم تكن روعة الشعر في صدر الإسلام أقل منها في العهد الجاهلي ، فإن الذين قرروا الشعر في الجاهلية وقرروا في الإسلام فاضت قريحتهم بمثل القوة والإبداع بحسب الموضوعات والخواطر التي طرقوها ولم تخف روعة كلامهم في عهدهم الإسلامي إلا بقدر انصرافهم عن المعانى الخلية وإنجذابهم اطلاق القول في المبالغات ، وتصوير المعانى في أشكال مناقضة . لأن الإسلام أضيق مجالهم في هذا الجانب .

ولكن ضيق مجال عملهم في هذا الجانب لم يغفل من موضوعاتهم تغليلاً كبيراً لأنه أبقى لهم مع ذلك جوانب صالحة وكثيرة كما بقيت لهم سائر الموضوعات ، مادام فيها الالتزام ، مثل الأدب والحكمة والوصف والحماسة

والفخر والدح والرثاء وحتى الهجاء إذا كان في صالح الحق والإسلام ، وقد نشأت أغراض جديدة في مجال الذب عن الدين الإسلامي والحب لنبيه الكريم ﷺ وظهور أثر الأخوة الإسلامية في عواطفهم ومشاعرهم ، أما الجهات التي ظهر فيها ابتكارهم وتتفوّقهم على ماضيهم هي اختيارهم للموضوعات الشعرية بأسلوب يزدان بصدق العاطفة ورزانة المعنى ودقة الأداء وجمال التعبير.

وقد نهجوا لدح الرسول -ص- ، منهجاً يجمع بين دقة الغزل وقوّة الدح وصدق الوصف ، حتى صار مثل هذا الدح فيما بعد ، عرضاً شعريّاً بعينه سمي في اللغة العربية بالنبوية وبلغات إسلامية أخرى بالنعت .

وتهذب شعرهم الغزل فغلب عليه النسيب ، ورق فيه الشعور ، ونشأ منه فيما بعد نوع جديد عرف فيما بعد بـشعر الحب العذري ، نسبة إلى بنى عذرة الذين نبغ فيهم عدد من شعراء الحب الفزية .

على كل فإن الشعر العربي في هذا العهد صار شرعاً ملتزماً بالقيم الجديدة التي التزمها أبناء هذا العهد بتأثير الدين الإسلامي وصحبة رسوله الكريم محمد - ﷺ -.

ولكن هذا الالتزام لم يكن يمنع شعراء هذا العهد عن التعبير عن خلجان نفوسهم وخواطر قلوبهم من سرور وحزن ورضى وسخط وعتاب واستعتاب ووصف وحكمة ما دام لا يخرج من إطاره المرسوم .

لقد كان هذا العهد الأدبي عهد الرسول ﷺ وخلفاء الراشدين عهداً أساسياً للأدب الإسلامي تحدّت فيه حدوده وظهرت فيه نماذجه الأولى وانبثقت منها الخطوط العريضة للأدب الإسلامي ظهرت فيها نماذج نثرية وشعرية كثيرة حملت روح الفكرة الإسلامية وتأثير التربية النبوية في صورها .

الأدبية المختلفة ، وحملت طابع هذا العصر المثالى الإسلامى . ولكن نرى بحسب ذلك نماذج قيمة أيضاً في نصوص بعض الشعراء لا تبلغ إلى درجة المثالى الإسلامية ، ولم تستوف الصورة الكاملة للروح الإسلامية الأدبية . ومثال ذلك ما نجد في نماذج شعر الحطينة ، فالببدأ المختار إذن هو أن الأديب المسلم يعد أدبياً إسلامياً إذا احتفظت أعماله الأدبية في غالبية نصوصه بالالتزام بالسمة الإسلامية ، أما أعماله التي لم يتمكن فيها من الالتزام بهذه السمة فلا تعد إسلامية ولكن صاحبها يعد إسلامياً لكون غالبية نصوصه صافية وفقاً للنظرة الإسلامية .

فأدباء العهد الأول للإسلام هم إسلاميون وإن تخللت في نصوص بعضهم جوانب غير إسلامية أو اشتبط بعض نماذج الانتاج الأدبي لهذا العهد عن الطبيعة الإسلامية للأدب ، وأكثر ما وقع هذا الاشتباط في المجال الشعري أما في المجال النثري فهو نادر جداً أو غير واقع أصلاً .

وذلك لأن أمر الشعر في هذا العهد اختلف في شأنه وتكوينه عن نثر الفن فقد كان أكثر اتصال النثر الفن في هذا العهد واستفاداته هو بالمصدرين الأولين للإسلام كتاب الله وحديث رسوله ﷺ . أما الشعر فقد استمد من الشعر الجاهلي جانبًا من قوته ومنهجه ، بل إنها كانت نشأة شعراء هذا العصر على مناهج الشعر الجاهلي وطبعاته ولم يكن مستغرباً أن تبقى لساته في شعرهم .

على كل فإن استعراض النصوص الشعرية لهذا العهد ليدل على انقسامها إلى صفين . صنف للنصوص الملتزمة التزاماً واضحًا بالإسلام . ففيها النراهة والاحتياط . وصنف للنصوص التي ضعف خضوعها للصعبنة

الإسلامية الكاملة واشتبط بعضها عن الخط الصحيح للإسلام ، إما لأن الأشخاص الذين تأخر دخولهم في الإسلام لم يتلقوا التربية النبوية بصورة واسعة ، وإما بعد أصحابها من مكان صحبة الرسول ﷺ وببيئته الإسلامية المتألية ، وإنما لأن عوامل ومؤثرات عاطفية خاصة أثرت على نفوس عدد من أصحابها فقصروا في الاحتفاظ بالتألية ، ولذلك كله نجد أمثلة للنماذج لم تخضع للسمة الإسلامية بل حادت عن الخط الإسلامي الرزين .

شعراء هذا العهد :

ويمكن أن نقسم شعراء هذا العصر إلى ثلاثة أقسام : قسم قام شعراً بمؤازرة الدين الجديد والذب عن رسول الله - ﷺ - وانتشر فيهم حسان بن ثابت الأنباري وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة وكلهم من الأنصار ، وذلك أمر يدل على أن نصرة الأنصار لله ولرسوله لم تقتصر في الإطار المادي وحده ، بل تجاوزت إلى اختبار الوسيلة الشعرية كذلك .

وقسم آخر هو لشعراء الذين زهدوا في قول الشعر بعد إسلامهم أو أقلوا منه إقلالاً وهم مثل لبيد بن ربيعة ، فقد زهد في قول الشعر زهادة كبيرة ، وكعب بن زهير ، فقد ساهم بقصيدة له رائعة في مدح الرسول - ﷺ - وصاحبته ثم زهد بعدها في قول الشعر ، ومثل عبد الله بن الزبير القرشي ، وحسين بن حمام المرى ، وأبو خراش الهذلي ، وال Abbas بن مرداس السلمي وعمرو بن معدى كرب الزبيدي وغيرهم ، أو قصروا في حدود خاصة أو موضوعات معينة مثل الأغلب العجلاني الراجزي وأبو محجن الثقفي ومتمن بن نويرة التميمي ، والحسناء ، أو عروة بن حزام وربيعة بن مقرن والزبيرقان بن بدر

وأبو ذؤيب الهذلي ، وقسم للشعراء الذين لم يتمكنوا من التزام كبير . وهم مثل حميد بن ثور الهلالي والمخيل السعدي وقيس بن عمر النجاشي ، وأبو الطمحان القيسي والشاعر المعروف الحطيئة ، فقد كان شاعراً كبيراً ولكنه نشأ في بيئة بعيدة عن التأثير الإسلامي فنشأ على سوء الخلق ، واستغل المجاهء لأغراضه ، فاشتمل شعره على الإحسان والإساءة كلّيهما ، ومن شعراء هذا العهد النابغة الجعدي أجاد في الجاهلية وفي الإسلام كلّيهما . ووردت في كلامه ألفاظ إسلامية ومعانٍ دينية كذلك .

فمما في شعر هذا العهد :

في الحماسة والفاخر والمديح :

قال عبدالله بن رواحة :

(وهو عبدالله بن رواحة شاعر أنصاري من قبيلة الخزرج ، شهد بيعة العقبة الثانية ، واستخدم شعره في الذب عن الإسلام ، وهو من الشعراء والرجال المحسنين المجيدين ، توفي سنة ٨٩ هـ في موقعة مؤتة مجاهداً شهيداً).

نفر من الحشيش لها العكوم	جلينا الخيل من أجاد وفرع
أذل كأن صفتته أديم	خذونها من الصوان سبتا
فأعقب بعد فترتها جموم	أقامت ليلتين على معان
تنفس في مناشرها السموم	فرحنا والجياد مسممات
وإن كانت بها عرب وروم	فلا وأبي مات لنأتينها
عوابس والغبار لها باريم	فعبانا أعنتها فجسأة

إذا بربت قوانسها النجوم
 بذى لجج كان البيض فيه
 أستنها فتنكح أو تنيم
 فراضية المعيشة طلقتها
 وقال ربيعة بن مقرن في الفخر:
 (وهو ربيعة بن مقرن بن قيس بن مالك بن بكر ، أسلم وحسن
 إسلامه . ثم شهد القادسية ، وعاش في الإسلام طويلاً . وهو شاعر محيد
 غريب اللفظ ، متين السبك ، ومن فنونه المدح والفخر والهجاء ، وغزله من فاخر
 الشعر القديم .)

موته وإن دعى استجابا
 أخوك أخوك من تدنو وترجو
 وراد سلاحه منك اقتربا
 إذا حاربت حارب من تعادى
 حبالي مات أو تبع الجذايا
 وكنت إذا قربني جاذبته
 على تقاد تلتهب التهابا
 فإن أهلك فدى حنق لظاه
 ذنوب الشر ملائئ أو القرابا
 خضبت بدلوه حتى تحسى
 بي الأعداء والقوم الغضابا
 بمثلي فأشهد النجوى وعالن
 أسد حفية الغلب الرقابا
 فإن الموعدي يرون دونى
 علالون الأشاجع أو خضابا
 لأن على سوا عدهن ورسا
 ولهم أيضاً :

بسليم أو وظفة القوائم هيكل
 ولقد شهدت الخيل يوم طرادها
 وعلام أركبه إذا لم آنسز
 ودعوا نزال ، فكنت أول نازل
 ورفعت نفسى عن كريم المأكل
 ولقد جمعت المال من جمع أمرئ
 ولشر قول المرأة ما لم يفعل
 ودخلت أبنية الملوك عليهم
 تغلى عداوة صدره كالمرجل
 ورب ذى حنق على كأنما

وكويته فوق النواظر من عل
وأصابني منه الزمان بكلكلا
حولاً فحولاً إن بلاها مبتل
والدهر يليلي كل جدة مبذل

أرجيته عنى فأبصـر قصده
ولقد أصبت من المعيشة لينها
ولقد أنت مابة على أعدها
فإذا الشاب كمبدل أنضبته

وقال الشماخ:

(وهو معقل بن ضرار من بنى سعد بن ذبيان . شهد القادسية
ومعارك إسلامية أخرى مسلماً مجاهداً ، توفي في خلافة عثمان - يعني -
- وهو شاعر مشهور، وله مدح بارع ورثاء وفخر وحماسة وغزل
وحكمة).

وجرشـاء بالعصـاغـير منـضـج
كريـمـ منـ الفتـيانـ غـيرـ مـزـاجـ
ويـضـربـ فيـ رـأـسـ الـكمـىـ الـذـاجـعـ
وـلـاـ فيـ بـيـوـتـ الـحـىـ بـالـتـولـجـ

وأشـعـثـ قدـ قدـ السـفـارـ قـمـيـصـهـ
دـعـوتـ إـلـىـ ماـ نـابـنـىـ فـأـجـابـنـىـ
فتـىـ يـمـلـأـ الشـيـنـىـ وـبـرـوـىـ سـنـانـهـ
فتـىـ لـيـسـ بـراـضـ بـأـدـنـىـ مـعـيشـةـ

وقالت صفية بنت عبد الله الطلب في الفخر:

(وهي عمّة رسول الله ﷺ وأخت حمزة وأسلمت وذبت عن الإسلام).

فـيـمـ الـأـمـرـ فـيـنـاـ وـالـأـمـارـ
ولـمـ توـقـدـ لـنـاـ بـالـغـدـرـ نـارـ
وـبعـضـ الـأـمـرـ مـنـقـصـةـ وـعـارـ

أـلـاـ مـنـ مـبـلـعـ عنـىـ قـرـيـشـاـ
لـنـاـ السـلـفـ الـمـقـدـمـ قدـ عـلـمـتـ
وـكـلـ مـنـاقـبـ الـخـيـرـاتـ فـيـنـاـ

وقال أبو محجن الثقفي :

(وهو عبد الله بن حبيب بن عمرو من بنى ثقيف ، كان فارساً
معدوداً في أولي الbas والشدة ، أسلم بعد فتح الطائف وظهرت شجاعته في

موقعه القادسية، ونال ثناءً وتقديراً من أمير الجيش سعد بن أبي وقاص وهو شاعر معروف.

وسائل القوم ماحزمى وما حلقى
لا تسأل الناس عن مال وكثره
إذا تطيش بـ الرعد يده الغرق
القوم أعلم أنى من سـراتهم
وأكتم السـرفـيه ضربـة العـنقـ
فقد أركـبـ الهـولـ مـسـدـ ولا عـساـكـرهـ
وفي هذا الباب قصائد أخرى أيضاً لعدد من أعلام شعراء هذا العهد ،
وسيأتي ذكرها مع تراجم شعراءها مثل حسان بن ثابت الأنباري وكعب
ابن مالك وحسين بن الحمام والخطيب والتابعة الجعدي .

الاعتذار والاستغفار والعتاب :

قال عبدالله بن الزبير حين أسلم :

(وهو من بنى سهم من قريش كان شديداً على المسلمين ، وكان شعره في الرد على الإسلام والمسلمين ، ولما فتحت مكة هرب ، ثم عاد وأسلم واعتذر ، وهو من شعراء قريش المعدودين ، وأربع شعراء مكة ، وشعره في المديح والهجاء وبعض الحكم) .

منع الرقاد بلا بـلـ وـهـمـوـمـ
والليل مـعـتـلـجـ الرـوـاقـ بـيـمـ
يا خـيـرـ مـنـ حـمـلـتـ أـوـصـالـهـاـ
عـيـرـاتـةـ سـرـجـ الـيـدـيـنـ غـشـوـمـ
إـنـىـ لـعـتـذـرـ إـلـيـكـ مـنـ الـذـىـ
أـسـدـيـتـ إـذـ أـنـاـ فـيـ الضـلـالـ أـهـيـمـ
أـيـامـ تـأـمـرـنـىـ بـأـغـوـىـ خـطـةـ
سـهـمـ وـتـأـمـرـنـىـ بـهـاـ مـخـزـومـ
وـأـمـدـ أـسـبـابـ الرـدـىـ وـيـقـوـدـنـىـ
أـمـرـ الـغـواـةـ وـأـمـرـهـمـ مـشـنـوـمـ
فـلـىـ وـمـخـطـئـ هـذـهـ مـحـرـوـمـ
فـالـيـوـمـ آـمـنـ بـالـنـبـىـ مـحـمـدـ

ودعت أواصر بيننا وحلوم
رللى ، فأنت راحم مرحوم
نور أعز و خاتم مختار
شرفًا وبرهان الإله عظيم
حق وأنك في العباد جسم
مستقبل في الصالحين كريم
فرع تمكّن في الذرى وأروم

مضت العداوة وانقضت أسيابها
فاغفر فدى لك والدك كلاهما
وعليك من علم الملك علامه
أعطاك بعد محبة برهانه
ولقد شهدت بأن دينك صادق
والله يشهد أن أحمد مصطفى
قرم علا بنيانه من هاشم

وقال المخل السعدى يعاتب ابنه :

(وهو أبو يزيد ربيع بن مالك بن أنس النافع بن قريع التميمي . وعمر المخل في الجاهلية والإسلام دهرًا طويلاً . ومات في أيام عثمان - رضي الله عنه - وهو شاعر فحل مشهور ، ولكنه مقل ، وشعره فصيح سهل التراكيب . وفنونه المدح والبهاء خاصة) .

وغضنك من ماء الشباب رطيل
فمشيتي ضعيف في الرجال دبيب
أرى الشخص كل شخصين وهو قريب
تعق إذا فارقتني وتحسوب
يقوم بها يوماً عليك حبيب

فإن يك غصني أصبح اليوم ذاًيا
فإنى حت ظبى خلوب تتابعت
إذا قال صحبى . يا ربى ألا ترى ؟
ويخبرنى شيان أن لن يعقنى
فلا تدخلن الدهر قبرك حوبة
وقال أبو حراش يعاتب ابنه :

(وهو أبو حراش الهمذى كان فارساً في الجاهلية ، فاتكا وعداً ،
وتاخر أبو حراش في الدخول في الإسلام ، ثم أسلم ، وحسن إسلامه ، وأبو
حراش شاعر فحل واحد حكماء العرب ، ولأبي حراش من الفنون فخر

وحمسة ومديع ورثاء وهجاء).

وقد يأتيك بالنبا البعيد

جر بعد هجرته زهيد

كمخضوب اللبان ولا يصيد

ألا من مبلغ عن خراشـا

ألا فاعلم خراشـا بأن خير المها

فإنك زهيد وابتغاء البر بعدى

الغزل والشباب :

وقال حميد بن ثور الهلالي :

(وهو من بني هلال بن عامر بن صعصعة . قاتل المسلمين في معركة حنين ، ثم أسلم ووفد إلى الرسول - ﷺ - وعاش إلى خلافة عثمان - رضي الله عنه - وهو شاعر مجيد جميل المعانى عذب الألفاظ ، وله غزل صريح وفخر وحماسة وطرد).

إذا ما صبونا صبوا سنتوب

إلى وإذ رحي لهن جنوب

علينا وإذ غصن الشباب رطيب

فلا يبعد الله الشباب وقولنا

ليالي أبصار الغوالى وسمعها

وإذا ما يقول الناس أمر مهون

وقال ربعة بن مقرؤم :

بجمران فقرأ أببت أن تريما

وما أنا ، أم ماسؤل الرسوما

فهاج التذكر قلبـا سقـيمـا

على لحيـتـى وردـائـى سـجـومـا

اهـينـ اللـثـيمـ وأـحـبـوـ الـكـريـمـا

إـذاـ ذـمـ مـنـ يـعـقـبـهـ اللـئـيمـا

أـمنـ آلـ هـنـدـ عـرـفـتـ الرـسـوـمـا

وـقـفتـ - أـسـأـلـهـاـ - نـاقـتـىـ

وـذـكـرـنـىـ العـهـدـ أـيـامـهـ

فـفـاضـتـ دـمـوعـىـ فـنـهـنـهـتـهـاـ

وـإـنـ تـسـالـنـىـ فـسـإـلـىـ اـمـرـؤـ

وـيـحـمـدـ بـذـلـىـ لـهـ مـعـتـفـ

ببؤس بئيس ونعمى نعيمًا
وأجزى القروض وفاء بها
وقال حميد بن ثور الهلالي :

وهل عادة فلربع أن يتكلما
سلى الربع أنى يممت أم سالم
وتتكلم عن الحمامنة التي تغنى فقال :
فصيحاً وتتفغر بمنطقها فما
عجيت لها أنى يكون غناها
ولا عريباً شاقه صوت أتعجما
فلم أر محزونا له مثل صوتها
له عولة يفهم العود أرزمها
كمثلي إذا غنت، ولكن صوتها

الحكمة والرثاء:

قال أبو خراش الهذلي في قتل عروة أخيه ونجاة خراش ابنه :
حراش، وبعض الشرأهون من بعض
حمدت إلهي بعد عروة إذ نجا
بحاجب قوسى مامشت على الأرض
فوالله ما أنسى قتيل رزته
نوكل بالأدنى وإن جل ما يضر
على أنها تعفو الكلوم وإنما
وله أدر من ألقى عليه رداءه
وقال الطمحان القيني عن الموت :
(وهو أبو الطمحان حنطلة بن الشرقي من بني القين من قضاعة .
وكان فارساً صعلوكاً فاسداً الدين في الجاهلية والإسلام ، وهو شاعر مطبوع
فصيح الألفاظ متين التركيب بدوى النفس ، وفنونه المدح والحماسة وشىء من
الحكمة) .

وقل ارتقاء النفس فوق الحوانج
ألا علانى قبـل نوح النواح
إذا راح أصحابى ولست برائج
وقل غد. يـا لهـف على غـد

وغودرت في لحد على صفاتي
وما اللحد في الأرض الفضاء بصالح
إذا راح أصحابي تفيسر دموعهم
بقولون: هل أصلحتكم لأخيك
وقال الشماخ يرثى عمر بن الخطاب:

يد الله في ذاك الأديم المزق
ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق
بوائح في أكمامها لم تفتق
له الأرض تهتز العصاد بأسوق
شاحر فوق المطى معلق
بكفى سبتي أزرق العين مطرق
حرى الله خيرا من أمير وبارت
فمن يسع أو يركب جناحي نعامة
قضبت أمورا ثم غادرت بعدها
أبعد قتيل بالمدية أظلمت
نطل الحصان البكري يلقى حنينها
وما كنت أخشى أن تكون وفاته
وقال متتم بن نويرة في رثاء أخيه مالك :

(متتم بن نويرة من بنى تميم . كان قصيراً أعمور ، ولكنه فارس
معدود . دخل في الإسلام . وكان هو وأخوه عاملين للرسول - ~~بيه~~ - على
صدقات قومهما ، ارتد قوم متتم على إثروفة الرسول - ~~بيه~~ - فغزاهم خالد بن
الوليد . وقتل مالكا ظاناً أنه لا يزال مرتدًا . فرثاه متتم رثاءً حاراً ، واشتهر
شعر الرثاء . مات في ٤٣٠ هـ).

أرى كل حبل بعد حبلك أقطعها
وكنت حريراً أن تجib وتسمعا
ذهب الغواوى المجنات فأمرعا
ولكننى أسى الحبيب المودعا
وأنسى ترابا فوقه الأرض بلقعا
لقد بان محموداً آخر يوم ودعا
أبى الصبر آيات أراها وانتى
وانى متى ما أدع باسمك لا تجب
سفى الله أرضاً حلها قبر مالك
فوالله ما أسفى البلاد لحبها
بحيته منى وإن كان نائياً
فإن تكن الآيام فرقن بيننا

وعشنا بخير في الحياة وقبلنا
أصاب المانيا رهط كسرى وتبعنا
وكنا كندمانى جذىءة حقبة
من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
وللخنساء وأبى ذؤيب الهذلى قصائد رقيقة رائعة أيضا في الرثاء ،
وسيأتي نماذجهما في ترجمتهما .

الفصل الثاني

أعلام الشعراء وكلامهم

من شعراء الإسلام :

عبدالله بن رواحة :

هو عبدالله بن رواحة بن امرئ القيس من بنى مالك بن ثعلبة بن كعب ابن الخزرج ، وأمه كبشة بنت واقد بن عمرو بن الأطناية من الخزرج أيضاً وكان عظيم القدر في الجاهلية .

أسلم وشهد بيعة العقبة الثانية، وكان أحد النقباء الإثنى عشر، ثم عمل على نشر الإسلام في المدينة ، فأصبح عظيم القدر أثيراً عند الرسول ﷺ . ولقد رأى في مكانته أنه كان يخط فاتحذه الرسول ﷺ كاتباً ، وكذلك كان شاعراً يرد على المشركين هجاءهم لرسول الله ﷺ وتهجمهم على الإسلام . كان من الشعراء والرجال المحسنين المجيدين ، وهو من طبقة حسان ابن ثابت وكعب بن مالك ، وقد كان في الجاهلية ينافق قيس بن الخطيم . أما في الإسلام فكان يمدح الرسول ﷺ ويرد على شعراء المشركين . توفي سنة ٨ هجرية في موقعة مؤتة بأدنى البلقاء من أرض الشام استشهاداً بعد معركة شديدة .

نماذج من كلامه :

قال في الحماسة وفيه رثاء :

وما يغنى البكاء ولا العويل	بكت عيني وحق لها بكاهـا
أحمرزة ذاكم الرجل القتيل	على أسد الإله غداة قـالوا
هناك وقد أصيـبـ به الرسـول	أصـيـبـ المـسـلـمـونـ به جـمـيـعـا
فـبـعـدـ الـيـوـمـ دـائـلـةـ تـدـولـ	أـلـاـ مـنـ مـبـلـغـ عـنـ لـؤـيـاـ
وـقـائـعـنـاـ بـهـاـ يـشـفـيـ الغـلـيلـ	وـقـبـلـ الـيـوـمـ مـاـ عـرـفـواـ وـذـاقـواـ
غـدـاءـ أـتـاـكـمـ الـمـوتـ العـجـيلـ	نـسـيـتـ ضـرـبـنـاـ بـقـلـبـ بـدـرـ
عـلـيـهـ الطـيرـ حـائـمةـ تـجـولـ	غـدـاءـ ثـوـىـ أـبـوـ جـهـلـ صـرـيـعـاـ
وـشـيـبـةـ عـضـهـ السـيفـ الصـقـيلـ	وـعـتـبةـ وـابـنـهـ خـراـ جـمـيـعـاـ
وـفـيـ حـيـزـوـمـهـ لـدـنـ نـبـيلـ	وـتـرـكـنـاـ أـمـيـةـ مـجـلـعـبـاـ
فـفـيـ أـسـيـافـنـاـ مـنـهـاـ فـلـولـ	وـهـامـ بـنـىـ رـبـيعـةـ سـائـلـوـهـاـ
فـأـنـتـ الـوـالـهـ الـعـبـرـىـ الـهـبـولـ	أـلـاـ يـاـ هـنـدـ فـايـكـىـ لـاـ تـقـلـىـ
بـحـمـرـةـ إـنـ عـزـكـمـ ذـلـيلـ	أـلـاـ يـاـ هـنـدـ لـاـ تـبـدـىـ شـمـاتـاـ

وقال في حب الشهادة في غزوة مؤتة :

مسيرة أربع بعد الحباء	إذا أدنـيـتـنـىـ وـحملـتـ رـحـلـىـ
ولا أرجع إلى أهلى ورائي	فـشـائـكـ انـعـمـ وـخـلـلـكـ نـمـ
بـأـرـضـ الشـامـ مـشـتـهـيـ التـوـاءـ	وـجـاءـ المـسـلـمـونـ وـغـادـرـونـىـ
إـلـىـ الرـحـمـانـ مـنـقـطـعـ الإـخـاءـ	وـرـدـكـ كـلـ ذـيـ نـسـبـ قـرـيبـ
وـلـاـ نـخـلـ أـسـافـلـهـاـ رـوـاءـ	هـنـالـكـ لـاـ أـبـالـىـ طـلـعـ لـيـلـ

وقال :

لكنني أسائل الرحمن مغفرة
وضربة ذات فرغ تقدذف الزبدا

أو طعنة بيدي حزان مجهرزة
بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا

حتى يقال إذا مرروا على جدش
أرشده الله من غماز وقد رشدنا

وقال أيضاً :

يا نفس إلا تقتلني تموتي هذا حمام الموت قد صليت

وما تمنيت فقد أعطيت إن تفعلى فعلهما هديت

كعب بن مالك الأنصاري :

هو كعب بن مالك من بني سلمة (بفتح السين وكسر اللام) من
الخرج ولد في يثرب نحو عام ٢٥ ق.هـ (٥٩٨م) وكان في نحو الخامسة
والعشرين من عمره عند ما شهد بيعة العقبة مع قومه ، ودخل في الإسلام . ثم
إنه شهد مع رسول الله ﷺ جميع الغزوات إلا تبوك ، وذكر قصة تحالفه عن
غزوة تبوك بأسلوب سهل سليس بلية وهو نموذج جميل لنثر هذا العصر . وفي
القصة جانب ومعان إنسانية ونفسية من الإيمان والفاء ، وكان محدثاً
يروى الحديث عن رسول الله ﷺ .

وعمى كعب بن مالك في آخر عمره ثم توفي بين سنة ٥٠ وسنة ٥٥ هـ
(٦٧٣-٦٧٤م) وسنّه في نحو السابع والسبعين، وكان من أنصار عثمان بن عفان .
كعب بن مالك من فحول الشعراء ، مكثر مجيد ، وخصوصاً في
الحماسة ووصف الحرب ، وله نماذج يوجد أكثرها في كتب السيرة وخاصة في
السيرة النبوية لابن هشام .

نماذج من كلامه :

قال يوم خبر وهو في الحماسة :

بكل فتى عارى الأشاجع مذود
ونحن وردنا خيراً وفروضه
جري على الأعداء في كل مشهد
جoad لدى الغايات لا واهن القوى
ضرب بنصل المشرفي المهد
عظيم رماد القدر في كل شتوة
من الله يرجوها وفوراً بأحمد
يرى القتل مدحه إن أصاب شهادة
ويذود ويحمي عن ذمار محمد
يذود ويحمي عن ذمار محمد
ويُدْرِكَ بِنَصْلِ الْمَشْرُفِيِّ الْمَهْدِ
ويُنَصَّرُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ يُرِبِّهُ
يُصْدِقُ بِالْأَنْبَاءِ بِالْغَيْبِ مُخْلِصًا
وله في المدح ، مدح الذين حضروا غزوة مؤتة ويرثي الذين استشهدوا فيها .

سحَا كما وقف الطباب الم Pax
ساحم العيون ودمع عينك يهمل
طوارئ أحرن وتارةً أتململ
في ليلة وردت على هممها
بنيات نعش والسماك موكل
واعتدانى حزن فبت كأننى
وكائنا بين الجوانح والخشى
واعتدانى حزن فبت كأننى
ياماً بمؤته أساندوا لم ينقلوا
وكانوا بين النفر الذين تتبعوا
يوماً بمؤته أساندوا لم ينقلوا
صلى الإله عليهم من قديمة
وسقى عظامهم الغمام المسيل
صبروا بمؤته للاله نفوسهم
حد الردى ومخافة أن ينكلاوا
فمضوا أئم المسلمين كأنهم
فنق عليهم الحديد المرفل
إذ يهتدون بجعفر ولوائه
قادم أولهم فنعم الأول
حتى تفرجت الصفواف وجعفر
حيث التقى وعث الصفواف محدل
فتغير القمر المنير لفقة ده
والشمس قد كسفت وكادت تأمل

فرعاً أشـم وسـؤدداً ما يـنـقل	قرم عـلـا بـنـيـانـهـ مـنـ هـاشـم
وـعـلـيـهـمـ نـزـلـ الـكـتـابـ الـنـزـلـ	قـومـ بـهـمـ عـصـمـ إـلـهـ عـبـادـهـ
وـتـغـمـدـتـ أـحـلـامـهـمـ مـنـ يـجـهـلـ	فـضـلـواـ الـمـاعـشـ عـزـةـ وـتـكـرـمـاـ
وـيـرـىـ خـطـيـبـهـمـ بـحـقـ يـفـصـلـ	لـاـ يـطـلـقـونـ إـلـىـ السـفـاهـ حـبـائـهـ
تـنـدـىـ إـذـاـ عـتـذـرـ الزـمـانـ الـمـحـلـ	بـيـضـ الـوـجـوهـ تـرـىـ بـطـوـنـ أـكـفـهـ
وـبـجـهـمـ نـصـرـاـ النـبـيـ الـمـرـسـلـ	وـبـهـدـيـهـمـ رـضـىـ إـلـهـ لـخـاقـهـ

حسان بن ثابت الانصاري :

هو حسان بن ثابت بن المذرين زيد مناة بن عدى من بنى مالك بن النجار، والنجار هو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخرزج . وأم حسان هي الفريعة ، بنت خالد بن حبيش من الخرزج أيضاً ، وكان أبوه ثابت وجده المذنر من أشراف قومهم والحكام بين الأوس والخرزج ، وكان جده خاصة عظيم الكرم محباً للسلم . لما اختلف الأوس والخرزج بعد يوم سمحة في أمر القتلى والديبات ، أهدى المذنر ديات قوم الخرزج واحتمل ديات القتلى من الأوس من ماله حرصاً على السلم .

ولد حسان في يثرب نحو عام ٦٠ ق.هـ (٥٦٢ م) ونشأ شاعراً يتكسب بالشعر ويتنقل بين بلاط جلق وبلاط الحيرة ، وكان إلى الغساسنة أميل ، وقد مدح من آل جفنة الغساسنة ، أولاد الحارت الأعرج (توفي ٥٣ ق.هـ - ٥٦٩ م) وأحفاده ، واستمر الغساسنة في بر حسان ووصله بالجوائز حتى بعد أن دخل في الإسلام وأضرب عن مدحهم .

وأنهى حسان كثيراً ثم عمى في أواخر أيامه ، وتوفي سنة ٥٤ هـ

(٦٧٤م) وقد رادت سنه على مائة عام .

حسان بن ثابت من فحول الشعراء، كثير الشعر جيده وهو أشهر أهل المدر.

وكان أغراض شعر حسان في الجاهلية . المدح والهجاء القبلي والشخصي ، وكان منها الرثاء والخمر والحماسة ، والفخر والغزل ، وواصل حسان قول الشعر في الإسلام ، ووقف مدحه على رسول الله ﷺ وقصر هجاءه على المشركين الذين كانوا يتعرضون للرسول وللإسلام بهجائهم ، اكتسب شعر حسان في الإسلام كثيراً من العذوبة والإخلاص ، وكثُرت فيه التعبيرات الإسلامية والاقتباس من القرآن الكريم ، وحسان خليق بأن يسمى رئيس المديحين ، فهو الذي بدأ في المديح النبوى .

وهو من الذين أجادوا المديح في الجاهلية ، وفي الإسلام ، نماذج من

كلامه :

الحماسة والفخر:

عفت ذات الأصابع فالجواء	إلى عذراء منزلها خلاء
ديار من بني الحسحاس قفر	تعفيها الروامس والسماء
وكانت لا يزال بها أنيس	خلال مروجها نعم وشاء
فدع هذا ، ولكن من لطيف	يورقنى إذا ذهب العشاء
لشعثاء التي قد تيمّته	فليس لقلبه منها شفاء
كأن سبيلاً من بيت رأس	يكون مزاجها عسل وماء
على أننيابها ، أو طعم غض	من التفاح هصره الجناء

فهن لطيب الراح الفداء
 إذا ما كان مفت أولاء
 وأسدًا ما ينهنها اللقاء
 تشير النقع ، موعدها كداء
 على أكتافها الأسل الطماء
 تلطمهم بالخمر النساء
 وكان الفتح وانكشف الغطاء
 يعز الله فيه من يشاء
 وروح القدس ليس له كفاء
 يقول الحق إن نفع البلاء
 فقل لهم : لا نقوم ولا نشاء
 هم الأنصار عرضتها اللقاء
 سباب ، أو قتال ، أو هجاء
 ونضرب حين تختلط الدماء
 فأنت محظوظ بحسب هواء
 وعبد الدار سادتها الإماماء
 وعن دال الله في ذاك الجزاء
 فشركم الخيركم الفداء
 أمين الله ، شيمته الوفاء
 ويمدحه ، وينصره سواء
 لعرض محمد منكم وقاء

إذا ما الأشربات ذكرن يوماً
 نوليهما الملامة ، إن الملا
 ونشربها فتتركنا ملوكاً
 عدمنا خيلنا ، إن لم تروها
 ييارين الأعناء مصعدات
 تظل جيادنا متطرفات
 فاما تعرضوا علينا اعتمرنا
 والا ، فاصبروا لجلاد يوم
 وجبريل أمين الله فيينا
 وقال الله قد أرسلت عبداً
 شهدت به ، فقوموا صدقوه
 وقال الله قد يسرت جنداً
 لنا في كل يوم من معد
 فنحكم بالقوافي من هجانا
 إلا أبلغ أبا سفيان عنى
 بأن سيفونا تركتنا عبداً
 هجوت محمداً فأجابت عنه
 أتهجود ، ولست له بكفاء
 هجوت مباركاً ، براً ، حنيفاً
 فمن يهجر رسول الله منكم
 فإن أبي ووالده وعارضى

لسانى صارم لا عيب فيه

له في رثاء الرسول ﷺ .

منير وقد تعفو الرسوم وتهمد
بها نبر الهدى الذى كان يصعد
وربيع له فيه مصلى ومسجد
من الله نور يستضاء ويروق
أيتها البلى فالآى منها تحدد
وقيراً بها واراه في الترب ملحد
عيون ومثلاها من الجفن تسعد
لها محصياً نفسى فنفسى تبتدى
بلاد ثوى فيها الرشيد المسدود
عليه بناء من صفيح منضد
عليه وقد غارت بذلك أسعد
عشية علوه الثرى لا يوسد
وقد وهنت منهم ظهور وأعشد
ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد

بطيبة رسم للرسول ومعهد
ولا تمحى الآيات من دار حرمة
وا واضح آثار وبساقي معالم
بها حجرات كان ينزل وسطها
معارف لم تطمس على العهد أيها
عرفت بها رسم الرسول وعهده
ظللت بها أباكى الرسول فأسعدت
يذكرن آلاء الرسول وما أرى
فبوركت يا قبر الرسول وبوركت
وبورك لحد منك ضمن طيبة
تهيل عليه الترب أيد وأعين
لقد غيبوا حلمًا وعلمًا ورحمة
وراحوا بحزن ليس فيه نبيهم
يبكون من تبكي السموات يومه



لعنيبة ما كانت من الوحي تعهد
فقيد يبكيه بلاط وعر قد
خلاء له فيه مقام ومقعد
ديار وعرصات وربع ومولد

وأمست بلاد الحرم وحشا بقاعها
قفاراً سوى معمورة اللحد ضافها
ومسجده فالموحشات لفقسده
 وبالجمرة الكبرى له ثم أوحشت

فبكى رسول الله يا عين عبرة
ومالك لا تبكين ذا النعمة التي
فجودي عليه الدموع واعولى
وقال في مدح:

قد بينوا سنة للناس تتبع
إن الذوائب من فهرو إخوتهم
تقوى الإله وكل الخير يصطنع
يرضى بهم كل من كانت سريرته
أو حاولوا النفع في أشيائهم نفعوا
 القوم إذا حاربوا ضروا عذوهם
إن الخلائق - فاعلم - شرها البدع
سجية تلك منهم غير محدثة
إن كان في الناس سباقون بعدهم .
 وكل سبق لأدنى سبقهم تبع
لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم
 عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا
إن سابقوا الناس يوما فاز سباقهم
أو وازنوا أهل مجد بالندى متعوا
أعفة ذكرت في الوحي عفتهم
لإيطبعون ولا يرد لهم طمع
لا يخلون على جار بفضلهم

وله في مدح الغساسنة وهو مما قاله في الجاهلية :

يله در عصابة نادمتهم
يوما بحلق في الزمان الأول
يمشون في الحال المضاعف نسجها
مشي الجمال إلى الجمال البرزل
الضاربون الكبش يبرق بيضه
ضربا يطير له بنان المفصل
والخالطون فقيرهم بغنيهم
والمنعمون على الضعيف المرمل
أولاد جفنة حول قبر أبيهم
ليغشون ، حتى ما تهر كلابهم
قتربابن مارية الكريم، المفضل
يسقون من ورد البريص عليهم
لا يسألون عن السواد المقليل
بردى يصفق بالرحيق السلسلي

شم الأنوف من الطراز الأول
بيض الوجوه، كريمة أحسابهم
وله في الحكمة .

كالسيل يعشى أصول الدندين البالى
والمال يغشى رجالا لاطباص لهم
لابارك الله بعد العرض في المال
أصون عرضي بمالى لا أدنسه
ولست للعرض إن أودى فاجمعه
أحتال للمال ، إن أودى فمحтал
والفقر يرزى بأقوام ذوى حسب
ويقندى بلئام الأصلـل آندال

(ب) من عامة المخضرمين الأعلام الحصين بن الحمام المرى .

" هو الحصين بن الحمام المرى بن ربيعة بن سائب بن حرام بن وائل ابن سهم بن ذبيان ، كان سيد سهم ومقدمهم ، وقد لقب مانع الضيم . وكان من أوفياء العرب ، وأسلم فكان من صحابة رسول الله ﷺ . ويظهر أن الحصين بن الحمام لم يعش في الإسلام طويلا فلعل وفاته كانت في مطلع خلافة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

كان الحصين بن الحمام من الشعراء المقلين ، ولكنه كان من المشهورين المجيدين ، وشعره وجاذبي متين ، أكثره في الفخر والحماسة وفي عتاب قومه . وله شئ من الرثاء . وفي شعره المتأخر معان إسلامية . قال في الفخر والحماسة وهو من كلامه الإسلامي .

وقافية غير أنسية قرست من الشعر أمثالها
إذا أنشدت قيس: من قالها؟ شرود تلمع في الخافقين
من الطلوع يتبع ضلالها وحيران لا يهتدى بالنهار
فكنت كمن كان لى لها وداع دعا دعوة المستغيث
وبادرت النفس أشغالها إذا الموت كان شجاعي الحلوّ

وللصبر في الروع أنجى لها
 لبست إلى الروع سريرا لها
 وغضب المضارب مفصالها
 أزود عن السور أبطالها
 ونفس تعالج آجالها
 مقادير تنزل أنزالها
 ت يوم ترى النفس أعمالها
 وزلزلت الأرض زلزالها
 فهباوا لتبرزا ثقالها
 وكان السلسل أغلالها
 صبرت ولم أن رعد يدة
 ويوم تسعر فيه الحروب
 مضعة السرد عادية
 ومطردا من ردبتية
 فلم يبق من ذلك إلا التقى
 أمور من الله فوق السماء
 أعود بربى من المخزيما
 وخف الموارizin بالكافرين
 ونادى مناد بأهل القبور
 وسعت النار فيها العذاب
 وقال في عهد الجاهلي وهو في الحماسة يصف فيه يوم دارة موضوع بين سعد
 ابن ذبيان وبين بنى سهم بن مرة .
 وإن كان يوما ذاكواكب مظلما
 بأسيافنا يقطعن كفا ومعينا
 علينا ، وهم كانوا أعوق وأظلموا
 بود ، فأودى كل دو فأنعموا
 وخيلهم بين الستار فاحتلوا
 ولا النبل إلا المشري المصيما
 من الخيل إلا خارجيا مسوما
 وكان إذا يكسوا أجاد واكرما
 ومطردا من نسج داود مبهمها
 ولما رأيت الود ليس بنافعى
 صبرنا - وكان الصبر فينا سجية
 يفلق هماما من رجال أعزه
 وجود عدو . والصدر حديثة
 فلقيت أبا شبل رأى كر خيلنا
 عشية لا تغنى الرماح مكانها
 لدن غدوة حتى آتى الليل ما ترى
 عليهم فتيان كسائم محرق
 صفائح بصرى أخلصتها قيونها

إذا حركت بضم عواملها دما
لنفسى حياة مثل أن أتقدما
ولكن على أقدامنا تقطر الدما
ولا مبتغ من رهبة الموت سلما

يهزون سمرا من رماح ردينة
تأخرت أستيقى الحياة فلم أحد
فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا
ولست بمبتاع الحياة بسببة

كعب بن زهير:

نشأ كعب بن زهير في مهد الشعر فقد كان أبوه زهير بن أبي سلمى شاعراً كبيراً ، فمال إلى الشعر منذ سن مبكرة ، وأشرف والده على تقويم شعره وتربيته حتى رسخت فيه الملكة الشعرية ، وأتى بالجبل الرصين والرائق العجب من الشعر، ودخل في أبوابه المختلفة ، وأوشك أن يسامي أباه لولا غرابة في ألفاظه وتعقيده في تراكيبه وقصور في مطولاته ، وفي كل ذلك بريء أبوه . لما ظهر الإسلام خرج هو وأخوه بجير إلى رسول الله ﷺ . ثم بداره فتأخر هو وتقدم بجير فسمع كلام رسول الله ﷺ وأسلم فغضب كعب لإسلامه ونهاه وهجاه . وهجا رسول الله ﷺ معه بآيات فأهدر الرسول ﷺ دمه فخيف عليه من أن يقتل بيد أحد أصحابه ، وأشفق عليه أخوه فنصحه بالإسلام والتوبة والحضور إلى الرسول ﷺ في طلب عفوه ورضاه . فجاء كعب إلى المدينة وتسلّم بأبي بكر عليه ودخل في الإسلام فعفا عنه الرسول ﷺ وأمنه . وما مدحه كعب بلاميته المشهورة فخلع عليه الرسول ﷺ بردته الشريفة . فما رالت البردة في أهلها حتى اشتراها معاوية عليه بأربعين ألف درهم وتوارثها الخلفاء الأمويون ثم العباسيون . وسميت قصيده بقصيدة البردة وصارت مثالاً لنوع من مدح الرسول ﷺ انتهج منهجه عدد من الشعراء المسلمين فيما

بعد وسميت قصائد هذا المنهج بقصائد البرية ، وخصصت قصيدة كعب بن زهير
بعنوان قصيدة "بانت سعاد" لأنها تبتدئ بهذا اللفظ ولعل كعبا لم يتم بقول
الشعر بعد ذلك ولم يقرض شعراً ينقل عنه ويعرف .

ولكن قصيده اللامية في مدح رسول الله ﷺ جعلت اسمه خالداً ،
توفي كعب بن زهير في سنة ٢٤ هجرية .

من عيون شعر قصيده هذه التي مدح بها الرسول ﷺ يبدأ القصيدة
بشعر الغزل اتباعاً للطريقة المعهودة لدى شعراء عهده ويقول :

باتت سعاد فقلبي اليوم متبول	متيم إثرها لم يفدى مكبلو
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا	إلا أفن غضيض الطرف مكحول
هيفاء مقبلة عجزاء مدبّرة	لا يشتكى قصر منها ولا طول
تجلو عوارض ذى ظلم إذا ابتسمت	كانه مذهب الراح معلول
شجت بذى شيم من ماء محنية	صف بأبطع أضحى وهو مشمول



أرجو وأمل أن تدنو موتها	وما إحال لدينا منك تنؤيل
أمست سعاد بأرض لا يبلغها	إلا العناق النجيبات المراسيل
ولن يبلغها إلا معاذفة	لها على الأين إرقال وتبغيل
من كل نضاحة النفرى إذا عرقت	عرضتها طامس الأعلام مجھول



كل ابن أنتى وإن طالت سلامته يوماً على آلة حدباء محمول
أنبئت أن رسول الله أوعـدـنـى والغفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذي أعطاك نافلة القرآن فيها مواعيظ وتفاصيل

اذنب ولو كثرت في الأقوال
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم



مهند من سيوف الله مسلول
ببطن مكة لما أسلموا زولوا
عند اللقاء ولا ميل معاذيل
من نسج داود في الهيجاس رايبيل
كأنها حلق القفعاء مجدول
قوماً وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا
ضرب إذا عرد السود التنايبيل
ومالهم عن حياض الموت تهليل
إن الرسول لن سور يستضاء به
في عصبة من قريش قال قائلهم
رالوا فما زال أنكاس ولا كشف
شم العرانين أبطال لبوسهم
بيض سوابع قد شكت لها حلق
ليسوا مفاريع إن نالت رماهم
يمشن مشي الجمال الزهر يعصمهم
لا يقع الطعن إلا في نحورهم

أبونؤيب الهدلى:

هو خويلد بن خالد من بنى سعد بن هذيل وكان في الجاهلية راوية
لساعدة بن جواية الهدلى :

دخل أبو نؤيب في الإسلام وحسن إسلامه، فلما ندب عثمان بن عفان المسلمين إلى الفتح في أفريقيا خرج أبو نؤيب في جيش الفتح مع خمسة من أبنائه وهلك أبناء نؤيب الخمسة بالطاعون في مصر فتابع هو طريقه إلى أفريقيا، وشهد فتح قرطاجية .

توفي في عام ٢٨هـ على لدغة لدغته حية في مصر.

قال ابن سلام : " كان أبو نؤيب شاعراً فحلاً لا غمزة فيه ولا وهن
وسئل حسان : من أشعر الناس ؟ قال : أشعر الناس حياهذيل ، وأشعر هذيل

أبو ذئب غير مدافع " وأكثر شعر أبي ذئب الذي وصل إلينا مراث ، وله شعر من الخمريات ومن وصف الخيال وبراعة في الطرد ، وفي وصف النحل والعسل خاصة ، وله قصائد قصرها على الغزل .

المختار من شعره يرثى أبناءه الخمسة :

أمن المنون وربه ما توجع	قالت أميمة مالجسمك شاحبا
والدهر ليس بمعتب من يجزع	أم ما لجسمك لا يلائم مضجعا
منذ ابتذلت ، ومثل مالك ينفع	فاجبتها : أرثى لجسما ، إنه
إلا أقض عليك ذاك المضجع	أودي بنى وأعقبوني حسرة
أودي بنى من البلاد فودعوا	سبقوا هوى وأعنقا لهواهم
بعد الرقاد وعبرة ما تقلع	فغترت بعدهم بعيش ناصب
فتخرموا ، ولكل جنب مصرع	ولقد حرست بأن أدافع عنهم
وإحال أنى لاحق مستتبع	فالعين بعد هموكان حداها
وإذا المنية أقبلت لا تدفع	حتى كأنى للحوادث مروءة
سملت بشوك فهى عور تدمع	وتجلى للشامتين أريهم
بصف المشقر كل يوم تقع	لابد من تلف مقيم فانتظر
أنى لريب الدهر لا أتضعضع	ولقد أرى أن البكاء سفاهة
أبأرض قومك أم باخرى المضجع	وليأتين عليك يوم ، مرة
ولسوف يولع بالبكاء من يفجع	والنفس راغبة إذا رغبتها
يبكي عليك مقنعا لا تسمع	
وإذا ترد إلى قليل——— تقنع	

الخنساء :

هي السيدة تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية، والخنساء لقب
غلب عليها، ولدت ونشأت في أسرة ذات شرف فقد كان أبوها وأخوها
معاوية وصخر من سادات سليم من مصر، وكانت بارعة الجمال والأدب
فخطبها الشاعر المعروف دريد بن الصمة سيد هوازن وفارس الجسم فأبأبت
عليه وتزوجت في قومها سليم وكان دريد بن الصمة قبل إبائتها قد مدحها ولما
أبأبت عليه هجاها .

قتل أخوها معاوية وصخر فبكهما بكاء حاراً بشعرها المؤثر البليغ
ولا سيما صخراً لما وجدت فيه حناناً وإحساناً وبرًا أكثر، ورثاؤها فيها
و خاصة في صخر أبلغ الرثاء وبه امتازت على غيرها من الشواعر والشاعراء
فيعد رثاءها أقوى الرثاء في الشعر الجاهلي ، وهو سبب صيتها وعنوان
شهرتها ووفدت مع قومها على رسول الله ﷺ وأسلمت وأنشدته .

واستمر حزنها على أخويها وأبيها حتى ابيضت عيناهما من الحزن وقالت:
كنت أبكي عليهم من الثار وأبكي عليهم اليوم من النار، حتى هدا حزنها بمر
الزمان وكان لها أربعة أولاد حثهم للجهاد فخرجوا إلى حرب القادسية
واستشهدوا جميعاً ولكن إيمانها بالله وبالجزاء في الآخرة حفظها من النوح
والبكاء ، فلم تزد على أن قالت " الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو أن
يجمعوني بهم في مستقر رحمته " ثم توفيت بالبادية عام ٢٤ هـ

فاقت الخنساء شواعر العرب كلهن في رصانة شعرها ورقه لفظها
وحلاوة جرسه وربما ضارت في هذه الصفات الشعراء الفحول ويرى النابغة
وجريرو يشار أنها أفضل من الرجال .

وقد غالب في شعرها الفخر والرثاء ، وكانت لا تقول إلا البيتين أو الثلاثة ، قبل مقتل أخيها فلما قتلا فاض الدمع من عينها والشعر من قلبها وقد اقتصر شعرها إلى حد كبير في هذا الموضوع وبقيت في شعرها على منهاجها القديم بدوية جاهلية .

نموذج من شعرها :

قالت ترثى أخاها صرحاً :

ألا تبكيان لصخر الندى	أعينى جودا ولا تجمدا
ألا تبكيان الفتى السيدا	ألا تبكيان الجرى الجميل
ساد عشيرته أمردا	طويل النجاد رفيع العماد
إلى المجد مد إليه يدا	إذا القوم مدوا بأيديهم
من المجد ثم مضى مصuda	فنال الذى فوق أيديهم
وإن كان أصغرهم مولدا	يكلفه القوم ما عمالهم
يرى أفضل الكسب أن يحمدا	ترى المجد يهوى إلى بيته
تأرزا بالجد ثم ارتدى	وإن ذكر المجد ألفيت

وقالت ترثيه أيضاً :

لقد أضحكتنى دهرًا طويلا	ألا يا صخر إن أبكىتك عينى
فمن ذا يدفع الخطب الجليلا	دفعت بك الخطوب وأنت حى
رأيت بكاءك الحسن الجميلا	إذا قبع البكاء على قتيل

ومن قوله :

أبقى لنا ذنبًا واستوصل الرأس	إن الزمان وما يفني له عجب
لا يفسدان ولكن يفسد الناس	إن الحديدين في طول اختلافهما

هو أبو مليكة جرول بن أوس العبسي ، كان غير واضح النسب ونشأ في بيئة غير ملتزمة لم يكن فيها وازع ، ولا رادع ، بعيداً عن تربية كريمة . فشب على سفاسف الأمور ومحاقرها ، غير ملتزم بالأخلاق الحسنة والاتجاهات السليمة ، وابتلى بقلة المال وضنك العيش ، فنشأ على الجشع والرغبة إلى المال، بخيلاً متذرعاً بالشر ، فمرج لسانه في أعراض الناس ، وهجا من كرهه أو أراد إخضاعه ، وضجر يوماً من نفسه فهجاها وسخط من أمه فهجاها.

نزل يوماً على الصحابي زيرقان بن بدر ضيفاً ولم يرقه قراه فهجاه وتحول إلى خصمه بعيض بن لأى ومدحه فاستعدى عليه زيرقان بن بدر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فحبسه فاستشفع إليه بشعره فأطلقه وحذره من هجاء الناس فقال : إذن يموت عيالي جوعاً ، هذا مكسي و منه معاشى فاشترى منه الخليفة أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم فكف عن الهجاء حتى توفى الخليفة ثم عاد إلى طبعه حتى مات سنة ٥٩هـ ، ومع كل هذا فإنه شاعر متين الشعر ، رائق الأسلوب شroud القافية متصرف في فنون القول من مدح وهجاء ونبيب وفخر ، ولو لا سوء خلقه وتبذل سيرته لفارق المخضرمين من الشعرا ، فإن كلامه يخلو من كثير مما يقع في شعر غيره من ركاكة في اللفظ أو نبو في القافية ، وقلما يوجد في هجائه إفحاش أو هجر ، والخطيئة لقب له لأنه كان قصيراً ، ولد في بني عيسى دعيَا لا يعرف له نسب استولده أوس ابن مالك العبسي سفاحاً من جارية إسمها الضراء كانت بنت رياح بن عمرو، ثم إن الضراء تزوجت الكلب بن كنيس بن جابر العبسي وكان أيضاً مدخول النسب .

ولقد استفرغ الحطيئة شعره في مدح بنى قريع ثم أكثر الهجاء .

نموذج من كلامه :

له في المديح وهو من جيد شعره .

وقد جرن غوراً واستبان لنا نجد
على غضاب ان صدرت كما صدوا
أناهم بها الأحلام والحسب العد
وإن غضبوا جاء الحفيظة والجد
من اللوم أوسدوا المكان الذي سدوا
وإن عاهدوا أوفوا، وإن عقدوا شدوا
وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا
من الدهر: ردوا فضل أحلامكم ردوا
نواشئ لم تطرر شواربهم بعد
بني لهم آباءهم وبنى الجد
وما قلت إلا بالذى علمت سعد

الآ طرقتنا بعد ما هجعوا هند
وإن التى نكتبها عن معاشر
أنت آل شناس بن لأى وإنما
يسوسون أحلاماً بعيداً أناتها
أقلوا عليهم ، لا أبداً لأبيكم
أولئك قوم لأن بنوا أحسنوا البنى
وإن كانت النعاء فيهم حزوا بها
وإن قال مولاهم على جل حادث
وإن غاب عن لأى بغيض كفthem
مطاعين في الهيجاء مكاشف للحجى
وتعذرني أبناء سعد عليهم

ومن شعره الذى عرض فيه بالزيرقان بن بدر :

في آل لأى بن شناس بأكياس
في باس جاء يحدوا آخر الناس
ولم يكن لجراحى منكم آسى
ولن ترى طارداً للحر كاليأس
وغادروه مقيناً بين أرماس
وجرحوه بأنيا ب وأضراس

والله ما معاشر لاما إمرءاً جنى
ما كان ذنب بغيض لا أبالكم
لما بدا لي منكم عيب أنفسكم
أزمعت يائساً مبيضاً من نوالكم
جار لقوم أطالوا هون منزله
ملوا قراه وهرته كلابه

وأقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي
لا يذهب العرف بين الله والناس

دع المكارم لا ترحل لبغيتها
من يفعل الخير لا يبعد جوازيه

النابغة الجعدي:

هو أبو ليلى حسان بن قيس بن عبد الله من جعدة بن كعب بن ربيعة أحد بنى عامر بن صعصعة ، كانت مساكن قومه في الفلج (والفلج ماء في جنوبى نجد) وقيل: إن أمه كانت امرأة من أهل هجر يقال لها خصفة .
والنابغة الجعدي أقدم من النابغة الذبيانى ، فإن النابغة الذبيانى أدرك النعمان بن المنذر بينما النابغة الجعدي أدرك المنذرين محرق والد النعمان هذا .

شهد النابغة الجعدي فتح فارس ، ثم شهد معركة صفين مع على بن أبي طالب وكان في ذلك الحين يسكن الكوفة ، ثم أدرك خلافة معاوية وكانت وفاته في أصفهان سنة ٦٥هـ ، في أواخر خلافة مروان بن الحكم أو في مطلع خلافة عبد الملك وكف بصره وزادت سنه على مائة .

النابغة الجعدي شاعر مخضرم مطبوع فصيح يجري شعره على السليقة ولا يتكلف صنعة ، إلا أن شعره شديد التفاوت ، منهجيد البارع ومنه الردى الساقط ، وفنون شعره المشهورة ، المديح والهجاء والوصف ، وكان من أوصاف الناس للفرس ، ثم الحكمة ، وفي شعره شيء من الاقتذاع ومن العجيب أنه كان مغلباً .

ولقد قرض شعراً في الجاهلية وانقطع أياماً ثم عاد إلى قرضه في عهده الإسلامي ، وتوجد في شعره الإسلامي معان إسلامية .

المختار من شعره :

قال النابغة الجعدي يرثى ابنا له اسمه محارب ، ويدرك أخاه له اسمه

وحوج وهو في ذلك يخاطب زوجته :

فمالك بعد اليوم خير ولا يليا	ألم تعلمى أنى رزئت محاربا
وكان ابن أمى والخليل الماصافيا	وبقبله ما قد رزئت بوجوج
جواد فما يبقى من المال باقينما	فتى كملت خيراته غير أنه
على أن فيه ما يسوء الأعدىما	فتى تم فيه ما يسر صديقه

أتى النابغة الجعدي إلى الرسول ﷺ وأنشده :

أنتيت رسول الله إذ جاء بالهدى	ويتلوك كتابا كالمجرة نيرا
بلغنا السماء مجدنا وجدونا	وإن النرجو فوق ذلك مظهرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له	حليم إذا ما أورد الأمر أصدا
ولا خير في حلم إذا لم تكن له	بواذر تحمى صفوه له أن يكdra

وقال في المعانى الدينية ، وقد ألم بكثير من المعانى ما وردت في القرآن الكريم :

الحمد لله لا شريك له	من لم يقلها فنفسه ظلما
الملوچ الليل في النهار وفي الليل نهاراً ويفرج الظلماء	
الخلف الرافض السماء على الأرض	ولم يبن تحته دعما
يا أيها الناس هل ترون إلى	فارس بادت وخدھا رغما
فأمسوا عبيدا يرعون شاءكم	كأنما كان ملكهم حلما
أو سبا الحاضرين مأرب إذ	يبنون من دون سيله العرما
فمزقوا في البلاد واعترفوا	الهون وذاقوا الباساء والعدما

القسم الثاني

عهد بنى أمية

الباب الأول

أدب هذا العهد أسلبه وأصنافه



الفصل الأول

العوامل والمؤثرات

الخلفية الاجتماعية والسياسية:

لقد كان العرب قبل الإسلام متشتتين فيما بينهم على أساس القبيلة والنسب ، وكانت تظهر بذلك فيهم المنازعات والخصومات وتتجدد العداوات. ولم يكن لهم تنظيم يجمع وحداتهم وأقسامهم في رباط واحد سوى توافقهم في الثقافة واللغة والدم ، وهو الذي كان يجمعهم في وحدة .

وجاء الإسلام فأصلاح فسادهم وأزال فرقتهم ، ونظمهم في سلك واحد ، فكانت وحدة شاملة أساسها الأكبر هو الدين الإسلامي ، وأثرت هذه الوحدة في اتجاهات حياتهم الدينية والسياسية والاجتماعية ، وذلك بفضل تعاليم الإسلام ، يقول الله تعالى : ﴿وَذَكِرُوا إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا، وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حَفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذْتُمُوهَا﴾ .

فصار وضعهم الاجتماعي بالإسلام وضعًا إيجابيًّا منظمًا تحت التوجيهات القرآنية والنبوية الكريمة ، فأصبح بعضهم يتعاون مع بعض ويشارك بعضهم مع بعض على أساس المصلحة الواحدة والهدف الواحد : وتحولوا بذلك إلى مجتمع إنساني صالح مؤمن ، وبيئة إسلامية راشدة ، نشأت

من ذلك سياسة موحدة واتجاه اجتماعي موحد بدلًا من التفرق القبلي والتشتت الأناني ، فأصبحت لهم حكمة مركبة جامعة لمناطق الجزيرة العربية المختلفة تحت لواء واحد وأمير واحد ، وهو محمد بن عبد الله الرسول العربي القرشى الكريم ﷺ ، ثم تلاه خلفاء الراشدون ، وبقى لهم ذلك عقودًا من السينين ولم يضعف إلا عند ما بدأ يؤثر على المجتمع الإسلامي المثالى توافد الأجانب من أبناء البلاد الأخرى من الموالى ومن أهل المهن والصناعات بتأثير اتساع رقعة الحكم والاختلاط بالآخرين وظهور جوانب متنوعة للحياة الجديدة في الإطارات الاجتماعية والإدارية والتنظيمية وكثرة الرقيق والسبايا نتيجة الغزوات والفتح ، ونشأت من هذا وذاك مشكلات سياسية واجتماعية في حياة هذا العهد ، وظهر أثرها في نشوء اختلافات في وجهات النظر في الحكم والإدارة وخاصة بتأثير أبناء الشعوب المجاورة الذين دخلوا في بلاد الإسلام وراكزه وانضموا إلى الشعب العربي بروابطهم الثقافية والاجتماعية والعقلية ، وكانوا يحملون قدرًا من نفسياتهم وطبيعتهم السابقة فمهذ ذلك مع الزمن إلى ظهور تكتلات سياسية امتزجت بالأراء الدينية وانتتماءات النسب والدم ، واشتدت الخلافات وتتطور الأمر بمر الزمان إلى حالة هياج سياسي خاص حدث فيها أن تمردت فيه طائفة من الناس ، وسفكوا دم الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه بعد أن مكث في الخلافة أكثر من عشر سنوات وكانت فتنة لم يكن لها نظير في العهد الإسلامي السابق .

وتولى الخليفة الرابع على بن أبي طالب رضي الله عنه ولاية أمر المسلمين في وضع سياسي مكفر مضطرب ، وتكلل المسلمون كتلتين ، كتلة تنادي بالإسراع في الأخذ بثار الخليفة الشهيد من الثوار ، والتمردين

الذين تفرقوا في البلاد ، و كتلة متأنية في الأمر تؤثر تنظيم الأمور و ضبطها أولا ، و أفضى هذا التكتل إلى معاداة وقتل بين المعارضين ، نشأت منه فرقتان : فرقة الشيعة ، وهى اختارت المغalaة فى موالة على بن أبي طالب رضى الله عنه وآلہ إلى حد التقديس ، وفرقة الخوارج ، وهى رفضته ورفضت مخالفيه معه وعدتهم خارجين من الإسلام وذلك بحسب حزب سياسي معارض تحت زعامة معاوية بن أبي سفيان الأموي رض أمير ولایة الشام .

و حكم الخليفة الرابع على بن أبي طالب رض أربع سنوات و تسعه أشهر واستشهد بعدها بيد رجل خارجي ، و اختار المسلمين نجله الأكبر الحسن ابن على رض خلفاً ولكنه بعد ستة أشهر من خلافته تصالح مع معاوية بن أبي سفيان رض وتنازل له عن الخلافة و تم الأمر لمعاوية بن أبي سفيان رض وانتهى به صدر الإسلام وبدأ العهد الأموي في حالة اضطراب وفوضى في المجتمع الإسلامي السياسي وتأثرت به اتجاهات المسلمين وآراؤهم ، وظهرت آثار ذلك في أدبهم وشعرهم .

الحالة الاقتصادية والثقافية:

أما في الجانب الاقتصادي فقد كان العرب في حياتهم الجاهلية يعانون قلة في وسائل الحياة ، وفقرًا في المعيشة ، لم تكن أرضهم تغدو لهم ما يكفيهم من المتطلبات المادية لكونها قاحلة ، ولكن حياتهم عاطلة إلا من وقائع خدام ومعارك حربية قبلية ، وهي التي كانت تدر عليهم ببعض المال الذي كان يحصل لهم من السلب والنهب وغنائم القتال ، أو من اقتناص البعير والغنم فكانوا يستفيدون من لحومها وألبانها ، وكانت بعض الفئائل مثل قريش تقوم بالتجارة وببعض الآخر مثل سكان المدينة يقوم بالاستفادة من

حصبة الأرض وزراعتها .

فلم جاء الإسلام ونشر الفضيلة والخير ودعا إلى الإيمان والوئام ،
واجتمع العرب تحت لوائه وتوحدت آمالهم وأهدافهم وقاموا بنشر الخير
والدعوة والجهاد فخضعت لهم الأمم المجاورة ، وتهافت أمامهم القوى الكافرة ،
وانهالت عليهم الغنائم وكثير الرقيق وتوفرت الأموال ، وأصبح ذلك كله سبباً
لخفض العيش ورغد الحياة ، انتقلوا به من الفقر وقلة المال إلى الثروة والغنى
والرفاهية ، فمال إليهم طلاب مال وأهل الحرف والصناعات من مختلف
الأهلاف يقومون بقضاء حاجتهم إلى الصناعة والعمل ، وسدوا بذلك النقص
في حياتهم المتردية إلى التطور والمدنية ، يكتب العلامة ابن خلدون في مقدمته
مشيراً إلى ذلك " لما ملك العرب فارس والروم استخدمو بناتهم وأبنائهم
 واستعملوهم في مهنيم وحاجات منازلهم واخروا منهم المهرة في أمثال ذلك
 والقومة عليه ، فأفادوهم علاج ذلك والقيام على عمله والتفنن في أحواله ،
 فبلغوا الغاية من ذلك وتطوروا بتطور الحضارة والترف في الأحوال واستجادوا
 المطاعم والمشارب والملابس والمباني والأسلحة والفرش والآنية وسائل الماعون
 والخرثى فأتوا من ذلك وراء الغاية " .

في هذه البيئة المرفهة ولد ونشأ الجيل الإسلامي الجديد وحصلت له
وسائل الحضارة والترف فجر ذلك طائفة من شبابه إلى حياة الدعوة والأدب
والشعر ، وأغرىهم بالغزل والشعر الرقيق بوجه خاص ، وحرك ذوقهم إلى الغناء
واللهو ، وكان شباب الحجاز أكثر ملائمة لذلك لكون أرضهم مهد المجاهدين
الأولين ومركز قادة الإسلام ، فكان طبيعياً أن تنهال عليهم الغنائم وتكثر لهم
العطايا وينالوا التقدير والاحترام بصورة أكبر فوجد شبابهم المال والفراغ .

وكانوا في نزاعاتهم السياسية غير موافقين لبني أمية ، فأراد الحكم أن ينصرفوا إلى نعومة العيش وحياة الأدب والشعر فبدلوا لهم عطائهم بسخاء وزادوا من عطائهم .

فكان كل ذلك سبباً في ميل الشباب في الحجاز بصورة كبيرة إلى وسائل المتعة والتلهي .

هذا في جانب ، أما في جانب آخر فقد امتازت حياة هذا العهد بأعمال الجد والاجتهاد أيضاً من مثل خدمة العلم وتوسيعه والتربية الدينية ونشر الدعوة والقيام بالجهاد حيث كانت تخرج جيوش المسلمين تحت قادة أبطال من الحجاز يرافقها العلماء والدعاة والعلماء أيضاً ويتوجهون إلى أطراف الدنيا ، فالجيوش الإسلامية تغزو البلاد ، والدعاة والعلماء يبشرون في أهاليها الدين والعلم ، ويعلموهم مكارم الأخلاق وينشرون فيهم الإسلام ، وعم بجهود العلماء والمحققين الاهتمام بالعلم وبدأت حركة تدوين العلوم الإسلامية مثل الحديث الشريف والفقه والعلوم المتصلة بهما ، ونشأت علوم إسلامية ، على قواعد قوية ثابتة وتفرعت إلى فروع مختلفة .

وأثرت حركة الجهاد ففتحت أقطار كثيرة وتوسعت رقعة العالم الإسلامي من الهند والسندي في الشرق إلى المغرب وأسبانيا في الغرب . كما نشأ بتأثير التربية على الصلاح والتقوى إقبال على الزهد لله والعبادة له فظهر في المجتمع الإسلامي عظماء في النسق والعبادة والحياة الربانية فقد ذكرت كتب التراجم طائفة كبيرة منهم بلغوا في تمسكهم في الحياة الربانية مبلغًا عظيمًا وأثر كل ذلك على أطوار الحياة والأخلاق وعلى الفكر والأدب ، وأثر على الأساليب الأدبية وتجلى صوره في نصوصها ومنها ما تجلى في الشعر .

الفصل الثاني

أغراض الأدب وأقسامه

هذه هي الأوضاع التي نشأ فيها أدب المرحلة الجديدة بجنب ما ورثه من نصوص الأدبين الجاهلي والمخضرم .

أما ما انتقل إلى الجيل الجديد من العهد السابق من التراث الأدبي السابق فهو في النثر: نصوص من الخطابة والوصية والحكمة والمثل والرواية وفي الشعر: نصوص من المديح والفخر والهجاء والحماسة والرثاء والحكمة وغيرها.

النثر:

أما النثر فنرى أنه إلى حد كبير امتداد لنثر صدر الإسلام بما فيه عهد الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين المهديين ، واقتداء له بقوته وبراعته مع صور ثقافية جديدة نشأت فيه بحكم الظواهر الاجتماعية والثقافية الجديدة للعهد الجديد.

وكان تأثير العقلية الإسلامية التي استفادت من القرآن الكريم والحديث الشريف روحها وطبيعتها ظاهراً منه . ويزرت من أغراض النثر في هذا العهد الخطابة بصورة خاصة ثم

الرواية والترسل ، ثم التوقعات .

أما الخطابة فقد قويت بحكم اتساع عمل الدعوة والتربية والعمل السياسي والاجتماعي في هذا العهد وكثرت فيها الجزالة وازداد البسط .

أما الرواية فقد قويت أيضاً وتوفرت أمثلتها وكثر عملها لكونها وسيلة لنقل أحاديث الرسول ﷺ وبيان أحكام الدين الإسلامي . وذكر أيام العرب وأنسابهم وقائدهم .

أما الترسل فكانت مقتضيات النظم الحكومي والإداري وضرورات الحياة الاجتماعية تتطلب وجود مثل هذا اللون من الأدب ، فبدأ اهتمام الناس بكتابة الرسائل في مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية المختلفة . وأما التوقعات فكانت أحكاماً وتعليقات من الحكام على طلبات الناس ورسائلهم ، وسيأتي تفصيل أحوال النثر في محله .

الشعر:

أما الشعر فقد أثر الإسلام فيه عند ظهوره وأوجد فيه تحفظاً واحتياطاً يتجنب مواضع الزلل والضلal وبذلك توقفت أو قلت معانى الفحشاء وأحاديث المنكر والتغنى بالتأثير القبليّة الجاهليّة في ذلك العهد وحل محلها البيان القرآني واسترعت بلاغة القرآن انتباه الناس فاشتد إصغاؤهم وتذوقهم له فانحصر الشعر لدى كثير من الشعراء في الجوانب المهمة من حياتهم الإسلامية الجديدة وفيما يحوجهم للدفاع عن دينهم الجديد وردهم لهجمات أعدائهم ومقاومة شرهم كما ظهر في شعر المديح منه مدح الرسول ﷺ ومدح أصحاب المأثر الإسلامية وذوى الفضل في

مجالات الخير الإنسانية وفي شعر الرثاء على من صعوا بحياتهم في سبيل الفضيلة والخير.

واستمر ذلك في الجيل المخضرم الذي نشأ وتربي ذوقه الأدبي والشعرى في الجاهلية ولكنه انخضع لتعاليم الإسلام فحضر المعانى الأدبية والشعرية في الإطار الإسلامي إلى أن جاء العهد الأموى بالجيل الجديد وكان منشأه على أدب الجيل الإسلامي الأول وشعره ، وعلى الشعر الجاهلى الذى نقله إليه الجيل الأول ليكون مرجعًا لغويًا وتاريخيًا للأجيال الآتية .

استفاد جيل هذا العهد مع أخذه وتناوله من بيان القرآن وأدب الحديث وأدب صدر الإسلام بصورة كبيرة ، من شعر العهد الجاهلى أيضًا وذلك بقراءة نماذجه للاستعانة بها لفهم غريب ألفاظ القرآن ولتقوية ملكتهم الأدبية ولكن معانى هذه النماذج تركت في نفوس الشباب أثراً قربهم إلى الاستمتاع بالكلام العربي المتجاوز لحدود الحشمة والالتزام الخلقي فساق ذلك أفراداً منهم إلى التبسيط أيضًا في هذا المجال ، وإلى استحداث صور مشابهة له جديدة فكان منها الغزل الرقيق وقد تجاوز هذا الغزل حينًا إلى الإباحية المحظورة أيضًا وعم الغزل الرقيق بصورة خاصة في مجالس الأدب والغناء في العهد الجديد ، وكان أغله تقليدًا أدبيًا لإضفاء قوة وروعه فنية كانت تتلائم مع الأذواق العربية المتأثرة ولم يكن تقليدًا في مجال السيرة والسلوك والحياة إلا عند بعض الشباب وفي أحوال خاصة .

هذا في جانب ، وفي جانب آخر أثارت المنازعات السياسية القبلية
التي ظهرت منذ بداية العهد الأموي عواطف العصبية الطائفية أيضاً، وهي
بدورها أفضت إلى استثارة روح العصبية القبلية الجاهلية الدفينة في النفوس،
فظهر ذلك في كلام شعراء هذا العهد من أصحاب النفوس المنفعلة بهذه
الصفة، وبخاصة منهم من الشعراء الموالين لسياسة بنى أمية والشاعر
المعارضين لها من مخالفتهم ، وعمل في ذلك الفخر والهجاء بصورة خاصة
واشتغلت على الخصومات الشخصية والطائفية وصارت قسمًا بعينه ،
وشفق به الناس وراج في أوساط الأدب .

الفصل الثالث

نهضة جديدة للشعر

النهضة الشعرية :

لقد ظهر أثر العهد الإسلامي الأول على الشعر بصورة خاصة منذ هذا العهد بتأثير نشأة الجيل الجديد على الأوضاع الجديدة بصورة كاملة وبحكم عودة القراء في الأدب إلى نشاطاتها على الخط الشعري الجديد .

فبرزت في الشعر الجديد أنواع ، وتهذبت ، وتطورت أنواع ، كما أن النشاط الشعري قد قوى في مناطق ، وضعف في مناطق لأسباب وعوامل أثّرت منذ العهد الجديد .

المناطق الشعرية :

العراق :

ومن المناطق الخاصة للنشاط الشعري في هذا العهد منطقة العراق ، فقد امتازت في شعر الخصومات السياسية والقبلية في هذا العهد ، وكان شعر هذا النوع إما سياسياً وهو الذي كان يقال في الخصومة الأولى ، وإما قبلياً وكان وقوداً لحرب المناقضات بين الشعراء ، واشتهر منهم بقوه العارضة جرير

والفرزدق والأخطل الذين أضافوا إلى ثروة شعر عهدهم عنصراً ضخماً للمناقضات .

أما الشعر السياسي الديني فقد اشتهر فيه من الشيعة الكميٰ بن زيد ، ومن الخوارج الطرماح بن الحكيم وقطري بن الفجاءة . على كل فقد وجد الشيعة بصورة كبيرة أرضاً خصبة في العراق ، وذلك لظهور أحوال كانت تحرّك النفوس وتثير فيها العواطف بتأثير ظهور منازعات مختلفة من سياسية ودينية وحزبية ، فكثر فيه الشعراء واحتفى بكلامهم أهل العراق خاصة وأهل المناطق الأخرى عامة ، وقد كان أكثر فحول الشعراء لهذا النوع من العراق .

الشام :

أما الشام فلم يظهر فيها من الشعراء العظام إلا عدى بن الرقاع العاملي وهو لا يساوى كبار شعراء العراق ، ولم تكن بيئته الشام غنية من ناحية الشعر وإنما كان الشعراء يأتون إليها من أطراف أخرى لكسب التقدير والمال ، ولعل السبب في ذلك هو أن أهل الشام كان مجال همهم الأكبر هي مسؤوليات الإدارة والحكم ، وكان حالهم في هدوء وراحة أكثر من غيرهم لكون بلدتهم مركزاً للخلافة ، ومع ذلك نرى أن بعض الخلفاء الأمويين قد ساهموا في قول الشعر مثل يزيد بن عبد الله وولده وليد بن يزيد ، ولكن لون شعرهما كان هو اللون الغزل المستفاد من حياة المتعة واللذة .

الحجاز :

أما الحجاز فقد امتاز في شعر الغزل وفاق شعراوه في ترقيقه فنال

بذلك الغزل فيه تنوعاً وسعة ورواجاً ، ساعد في ذلك ميل شباب الحجاز إليه وساعد فيه الثراء والمال الكثير الذي وصل إلى أيديهم وما حصل لهم من الفراغ في أوقاتهم وتواجد أهل الفن إليهم من أنحاء البلاد فنبغ من الشعراء جميل بن معمر وكثير بن عبد الرحمن وغيرهما .

أما اليمن ومصر والمغرب والأندلس في العهد الأموي فكانت أكثر تخلفاً في الشعر .

تطورات جديدة في الشعر:

دخل في الشعر منذ هذا العهد تحرر من أكثر الاحتياطات التي كان الشعراً في صدر الإسلام يختارونها ، فقيل شعر كثير في الأغراض المختلفة بالصورة التي كانوا يختارونها قبل الإسلام مثل المديح والفخر والهجاء والرثاء والغزل وغيرها ، غير أنهم رققاً هذه الأغراض وهذبواها وطوروها تحت تأثير الحياة الحضارية الجديدة التي اشتملت على قدر من الثقافة والعلم والمعارف الإسلامية الحاصلة من مصادر الشريعة الإسلامية وبقدر من الثقافة الوافية من بلاد متحضرة مجاورة .

الغزل الرقيق :

أما الغزل فقد تأثر بصورة أكبر بحياة الدعوة والرفاية والثراء التي دخل فيها العرب في هذا العهد بفضل الغنائم والعطایا الحاصلة للمجاهدين والغزاة وأبناء الصحابة المقدمين في الإسلام ، فقد جعل ذلك شباب الأسر الغنية راغبين في الاشتغال بالثقافة والشعر والفن ، وانتهزاً الشعراء المتكتبون والمحترفون بالفنون الفرصة للاستفادة من ثراء هؤلاء الشباب فنشأ بذلك الميل

إلى الغزل ورق قوله وتوسيع بعض الناس فيه ظهرت في شعرهم لوثة من الإباحية والمراحة بعض الأحيان ، ومن أهم شعراء هذا النوع عمر بن أبي ربيعة الذي امتاز بذكر أحوال الغرام والهوى ، وامتاز بالحوار والقصص في غزله ، ووليد بن يزيد الخليفة الأموي الذي جهر بالمحظوظ وذكر الخمر وصفها وذكر غرامه بها .

ولكن وجد بجنب ذلك نوع من الغزل الرقيق فيه تحرق وصدق مع العفاف والطهر ، وسمى بـ *شعر الحب العذري* ، وأهم من أثر عنهم مثل هذا الغزل جميل بن معمر صاحب *ثينية* ، وكثير بن عبد الرحمن صاحب *عزرة* ، وقيس ابن ذريع صاحب *لبني* ، وتوبة بن الحمير وصاحبته *ليلي الأخيلية* ، فقد وصفوا تحرقهم وهياكلهم في الحب وبرعوا في ذكر أحوال الحب بدون فسوق وإباحية ، فقد تحدثوا عن آلام أفنائهم وحرمانهم وعداهم النفسي بأسلوب سليس سهل مؤثر ، وأكثر ما حدث ذلك في قبيلة عذرة وكانت تسكن في غربى نجد فسمى هذا الحب بالحب العذري ولقد امتاز هذا العهد بهذا النوع العفيف من الغزل على العهود الأخرى ، أما الغزل العام فقد جرى على الطريق القديم ، اتبع الشاعر فيه السابقين مع قليل من التطوير الذي استلزمته الحياة الحضارية الجديدة ، وامتاز فيه ذو الرمة صاحب *مية* ، وعدى ابن الرقاع العاملى ، وعروة بن أذينة وغيرهم .

الشعر الجدلي :

أما الفخر والمديح والهجاء فقد أثرت فيها خلافات نظرية دينية وسياسية ، ظهرت في حياة المسلمين منذ نهاية الخلافة الراشدة وتكونت

اتجاهات ضد الحكم الأموي وأخرى في تأييده . وتطور حب آل على بن أبي طالب إلى نزعة سياسية مذهبية ، وظهرت نزعة سياسية مذهبية مختلفة عنها ، فنشأ من ذلك شعر الجدل السياسي والمذهبى ، جاءت نصوصه على ألسنة الشعراء المثلثين للشيعة ، والشعراء المثلثين للمذهب الخارجى ، والشعراء المؤيدون لخلافة عبدالله بن الزبير والشعراء المؤيدون لخلافة الأموية . وتطور الأمر تحت تأثير السياسة وتوزع الشعراء على الأحزاب وأخذوا ينظمون شعرهم معبرين عن نظريات سياسية جديدة وكان حزب الأمويين أكثر نفراً وكان يليه حزبا الشيعة والخوارج ، أما حزب الزبير فكان أقل الأحزاب شرعاً وشاعراً .

واشتهر من شعراء هذه الفئات المختلفة الكميٰت بن زيد في تمثيل الشيعة وفي الحب لآل البيت ، والطرماح بن الحكيم في تمثيل الخوارج وحبهم ورفض الآخرين ، كما مثل عبدالله بن قيس الرقيات عبدالله بن الزبير على الصعيد السياسي والمذهب الشيعي على الصعيد المذهبى ، ومدح الأخطل أمراء بنى أمية وأشاد بعظمتهم بشعره .

الذة وأفضض :

وتتنوع هذا الجدل الشعري وتطرق من السياسة والدين إلى القبيلة والفردية وبدأت المعارك الشعرية في هذا المجال أيضاً ونشأ منه شعر المناقضات ، وكان نوعاً جديداً بالنسبة إلى المنهج والمعنى ، كان يقتبس من المذاهب الشعرية القبلية القديمة بمنهجها وخصائصها الأساسية وبيننى عليها خصائص جديدة مقتبسة من التطور الأدبي والثقافي والنظري الجديد

فما شتمل على مخاصمات قبلية وفردية ومهاجة بين شاعرين يلتزم كلاماً
بوزن واحد وقافية واحدة وينقض أحدهما قول الآخر معتمداً على ذكر مأثر
قبيلته وموضع الضعف والمهانة لقبيلة خصمه وأصبحت هذه النزعة الشعرية
اتجاهًا سائداً بين طائفة من شعراء هذا العصر.

فقد جاء في الأغانى أن مساور العبسى كان يتهاجمى مع المرار
الفقعسى الأسدى وابن ميادة الذبيانى يتهاجمى مع الحكيم النمرى المحاربى
ويتهاجمى زياد الأعجم مولى عبدالقيس مع كعب الأشقرى وقتادة اليشكري
مع المغيرة بن الجبنا التميمي .

وجريدة الفرزدق وجبرير مع الأخطل ، وطال الجدل والتهاجمى الشعري
بين جريرا والفرزدق وكثرت قصائدهما ورأت ذلك في الثروة الشعرية لهذا العهد وصار
شعر النقائض لكثرة وإلاجادة الشاعرين فيه صنفًا بعينه من شعر هذا العهد .

التأثير الدينى في الشعر:

واصطبح شعر هذا العصر بالصبغة الدينية كذلك وامتزج أحياناً
بالسياسة لأنها كانت تتصل بفكرة إمامية المسلمين وخلافتهم فطبيعي أن
يصب فيه الدين ثم إن عهد الخلافة الراشدة وعهد النبوة كانوا قريبين فكان
تأثير الاتجاهات الدينية باقياً وقوياً ، وقد لا تكون مبالغتين إذا قلنا إن كثيراً
من صفحات الشعر الأموى طبع بطبع دينى ومثاله ما تراه في قصيدة
الطرماح التي أولها :

كل حى مستكملاً عد العمر ومـؤـدـ إـذـاـ انـقـضـىـ عـدـ
وإلى عدد من قصائده الأخرى ، ويمثل ديوان ذى الرمة بعناصر

إسلامية كثيرة من ذكر الصلاة وقصرها في الشعر وما يكون من التيمم وتلاوة القرآن وإحياء الليل مثل قوله :

إذا انجلى البرق عنه قام مبتهلا الله يتلوه بالنجم والطور
وفي شعر عروة بن أذينة فقيه المدينة نجد صوراً للأفكار الدينية من ذكر الموت ومدح التوكل على الله ، وعلى كل فإنه لا يخلو شعر أكثر الشعراء من معانٍ دينية إسلامية بل ونجد لعدد منهم قصائد كاملة في هذا المجال وتشتد هذه النزعة في مناسبات خاصة فحينما يتصل بالعاطفة الدينية وحدها وحينما يتعلق بالسياسة الحزبية وهو ما نراه في شعراً الشيعة والخوارج .

الرجز:

واهتم عدد من الشعراء في هذا العصر بالرجز واعتنوا به كثيراً مثل العجاج وابنه رؤبة وأبو النجم العجلاني ، ونرى أن بعض الرجال رأى أن يستهل بعض ما ينشئ من أراجيزه بالحمد والثناء على الله بدلاً من الوقوف بالأطلال والبكاء ، فأبوا النجم العجلاني يبتدئ أشهر أراجيزه بقوله :

الحمد لله الوهوب المجزل

بينما يبتدئ العجاج أهم أراجيزه بقوله :

قد جبر الدين الإله فجبر.....

وفي ديوانه أرجوزة يفتتحها بقوله :

الحمد لله الذي استقلت
بإذنه السماء واطمأننت

ويستمر فيتحدث عن خلق السموات والأرض وما يكون من البعث والنشور ويتحول إلى ما يشبه الواقع .

الباب الثاني

الشعر و رجاله في هذا العهد

الفصل الأول

الغزل

الغزل العفيف :

أما الغزل فقد ملا جانباً واسعاً من المجال الشعري في هذا العهد وتتنوع كما ذكرنا إلى أقسام ، ومنها الغزل العذري منسوباً إلى قبيلة بنى عذرة التي اشتهرت بحوادث من الحب الصادق العفيف ، عبر عنها المحبون بذكر ولهم وهياهم في شعر مؤثر مصور لأهاتهم ، يعرضون فيه سوانحهم النفسية والشعرية ، فأصبح شعرهم هذا نوعاً بعينه ، عرف بالغزل العذري ، وشاركهم في ذلك أبناء قبيلة عامر أيضاً ، واشتهر من شعراء هذا النوع من الشعر قيس ابن ذريع ، وقيس بن الملوح وهو مجنون ليلي ، وتوبة بن الحمير وليلي الأخيلية وقد تبادلا الحب والشعر فيما بينهما ، واشتهر جميل بن معمر بشعره في بثينة ، وكثير بن عبد الرحمن بشعره في عزة ، أما قيس بن ذريع فكان سابقاً في هذا المضمار عشق بنت عمته لبني وحرم الزواج معها فعبر عن هياته وجواه في شعر كثير بلية ، وجاء بعده قيس بن الملوح وهو العاشق المشهور بالجنون الذي طبق صيت حبه لليلى الآفاق وحيكت حوله الأساطير والحكايات ، وعبر عن حبه بشعره كما نسب إليه شعر كثير أيضاً .

أما قيس بن ذريع فإنه كان من عشاق العرب المشهورين ومعظم شعره في حبيبته لبني ، وكان من بني بكر من كنانة وكان أخا الحسين بن على بن أبي طالب عليه من الرضاعة ، نشأ قيس في المدينة وفيها رأى لبني بنت الحباب الكعبية فأحبها وأحبته وأراد الزواج بها فمنعه أبوه عن ذلك ، وكان قيس وحيداً لأبويه وكان أبوه غنياً جداً فأراد أن لا تصرف ثروته إلى غير أسرته فاستشفع قيس الحسين عليه فاسترضي أبويه ، وذلك لوجهاته الدينية ، وتزوج قيس بلبني ، ولكن لم يولد لها ، فطلب والد قيس من قيس تطليقها فطلقتها ولكنه جن جنونا وتوفي في سنة ٦٨ هـ بعد وفاة لبني بستة .
وشعر قيس جميل المعانى سهل التراكيب متين السبك وكان قيس ابن الملوح (مجنون ليلي) يعجب بشعره .

قال قيس :

فإن يحبوها أو يحل دون وصلها
مقالة واش أو وعيده أمير
ولن يذهبوا عيني عن دائم البكا
فلن يمنعوا عيني عن دائم البكا
إلى الله أشكو ما ألاقي من الهوى
ومن حرق تعادنى ورفيبر
وليل طويل الحرث غير قصير
ومن حرق للحب في باطن الحشى
سأبكي على نفسي بعين غزيرة
أما مجنون ليلي فهو قيس بن الملوح بن مراح من بني كعب من
عامر بن صعصعة أحب ليلي وهى بنت مهدى بن سعد من بني كعب أنفسهم
وتكنى أم مالك وقد كان قيس وليلي في صغرهما يرعيان الغنم فنشأت بينهما
الحبة .

ولما اشتهر حب قيس وليلي كره أبو ليلي أن يزوج ليلي بقيس و

زوجها رجلاً آخر فذهب عقل قيس ولكنه ظل يذكر ليلي .
مجنون ليلي شاعر رقيق حلو الألفاظ رائع الأسلوب وقد نحله الرواة شعرًا من
جنس شعره .

وقد تركت قصة مجنون ليلي أثراً كبيراً في الأدبين الفارسي والأردي
توفي سنة ٧٠ هـ .

ومن شعره :

تمداویت من ليلي بليلی من الهوى
كم ابتدأی شارب الخمر بالخمر
بلی ، واللبالی العشرو الشفع والوتر
كم انتقض العصفور من بلل القطر

ألا زعمت ليلي بأن لا أحبهما
إذا ذكرت يرتاح قلبي لذكرهما

توبية بن الحمير وليلي الأخيلية :

أما توبة فهو توبة بن الحمير بن حزم بن كعب من عامر بن
صعصعة، أحد العشاق العرب المتيمين كان في أول أمره امرأ غزلاً مغامراً
وصاحب غارات، وعشق توبة ليلي الأخيلية وخطبها إلى أبيها ولكنه أبي و
زوجها من غيره ، ولكن توبة قصر همه على ليلي وظل وفياً لها ، وقتل توبة في
نزاع مع قومه سنة ٨٠ هـ

وتوبة شاعر غزل رقيق فصيح الألفاظ سهل التراكيب قوى العاطفة
وليلي الأخيلية هي ليلي بنت عبدالله بن الرحالة من كعب بن معاوية الدخيل
من عامر بن صعصعة ونشأت ليلي مع ابن عم لها توبة الحمير فأحبها وطلب
من والدها تزويجها به فرده والده وروجها من غيره ثم إن توبة ظل يزورها
حتى شakah أهل ليلي إلى السلطان فأهدى دمه الوالي ، ولما مات قالت ليلي في

رثاء شعراً كثيراً ماتت ليلى في نحو سنة ٩٠ هـ.

وليلى من النساء المتقدمات في الشعر لا يتقنها من النساء إلا
الخنساء ، وشعر ليلى متين السبك على المنهج القديم ومعظم شعرها في رثاء
توبة .

تقول ليلى الأخبلية في رثاء توبة :

أليت أبكي بعد توبة هـالكا
لعمرك ما بالموت عار على الفتى
وما أحد حتى وإن عاش سالماً
وكل شباب أوجيد إلى بلى
وكل قرييني الفـة لتفرق
فلا يبعدنك الله ياتوب هـالكا

أخـالـحـرـبـ إـنـ دـارـتـ عـلـيـهـ الدـواـئـرـ
إـذـاـ لمـ تـصـبـهـ فـيـ الحـيـاةـ الـمـعـاـيـرـ
بـأـخـلـدـ مـمـنـ غـيـبـتـهـ الـقـابـرـ
وـكـلـ اـمـرـئـ يـوـمـاـ إـلـىـ اللـهـ صـائـرـ
شـتـاتـاـ وـإـنـ ضـنـاـ وـطـالـ التـعـاـشـرـ
أخـالـحـرـبـ إـنـ دـارـتـ عـلـيـهـ الدـواـئـرـ

وكان حب توبة لليلى عفيفاً وقد شهدت بذلك ليلى عند سؤال
الحجاج فقالت لم يكن منه إلا مجردزيارة .

يقول توبة في حب ليلى :

ولـوـأـنـ لـيـلـىـ الـأـخـبـلـيـةـ سـلـمـتـ
لـسـلـمـتـ تـسـلـيمـ الـبـشـاشـةـ أـورـقـاـ
وـأـغـيـطـ مـنـ لـيـلـىـ بـمـاـ لـأـنـالـهـ
ويـقـولـ أـيـضـاـ:

عـلـىـ، وـدـونـىـ جـنـدـلـ وـصـفـائـعـ
إـلـيـهـ صـدـىـ مـنـ جـانـبـ الـقـبـرـ صـائـعـ
أـلـاـ كـلـ مـاـ قـرـتـ بـهـ الـعـيـنـ صـالـعـ

بـلـيـلـىـ الـعـامـرـيـةـ أـوـ يـرـاحـ
تـجـاذـبـهـ وـقـدـ عـلـقـ الـجـنـاحـ
وـلـاـ فـيـ الصـبـحـ كـانـ لـهـاـ بـرـاحـ

كـأـنـ الـقـلـبـ لـيـلـةـ قـبـيلـ :ـ يـغـدـىـ
قـطــاءـ غـرـهـاـ شـرـكـ فـبـاتـ
فـلـاـ فـيـ الـلـيـلـ نـامـتـ وـاـطـمـائـنـتـ

جميل بن معمر صاحب بثينة :

ورق الشعر في غزل جميل بن معمر ونال قبولاً في أوساط الأدب والشباب وكان يحب بنت عمه بثينة و هو أبو عمرو جميل بن معمر من بنى عذرة من قضاة معد و أمه جذامية من اليمن ولد نحو ٤٠ هـ في وادى القرى من شمال الحجاز وعلى مقربة من المدينة ونشأ هناك ، تعلق بابنته عمه بثينة وتعلقت به فخطبها إلى أبيها و لكنه رده و زاد ولع جميل ببثينة فجعل يقول فيها الشعر، و شكا أهلها إلى الوالى فتوعده ، فهرب جميل إلى أخواله باليمن ، وتزوجت بثينة برجل من أسرتها وظل جميل يقول الشعر فيها و يزورها فتوعده الوالى فذهب إلى مصر و توفي هناك في ٨٢ هـ .

جميل شاعر فصيح مقدم عند النقاد على جميع معاصره من شعراء الغزل وشعره رقيق سهل التراكيب واضح المعانى ، وشعره كله في النسبي سوى قطعة أو قطعتين ، يقول جميل بن معمر في حبه لبثينة :

ألا ليت ريعان الشباب جديداً
ودهراً تولى ، يابثين ، يعود

ويقول :

بواهى القرى؟ إنى إذن لسعيد	ألا ليت شعري ، هل أبيبن ليلة
وقد تطلب الحاجات وهي بعيد	وقد تلتقى الأهواء من بعد يأسة
ويحيا إذا فارقتها فيعود	يموت الهوى مني إذا مالقيتها
وأى جهاد غيرهن أريد	يقولون ، جاهد يا جميل بغزوة
وكلى قتيل بينهن شهيد	كل حديث بينهن بشاشة
إلى اليوم ينمو حبها ويزيد	علقت الهوى منها وليداً ، فلم يزل
ولا البخل إلا قلت : سوق تجود	فما ذكر الخلان إلا ذكرتها

ويقول :

لو أبصره الواشى لقرت بلا بله
وبالأمل المرجو قد خاب آمله
أواخره - لالتقى - وأوائله
واني لأرضى من بثينة بالذى
بلا ، وبالاً تستطيع ، وبالمنى
وبالنظرة العجلى ، وبالحول تنقضى

كثير بن عبد الرحمن صاحب عزة :

ونال شعر كثير بن عبد الرحمن أيضاً قبولاً واشتهاراً في هذا النوع
العذري الرقيق من الغزل ، وهو أبو صخر كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن
عامر من خزاعة ، ولد في بيسان بين المدينة وخيبر نحو ٤٥ هـ ومات أبوه صغيراً
فكفله عمه فكان يرعى غنماً لعمه ، واعتنق مذهب الكيسانية غلة الشيعة
ينتمسون إلى المختار بن أبي عبيد الثقفي ، ويزعمون أن محمد بن الحنفية لم
يمنت وأنه موجود في جبل رضوى ، وعشق كثير في صباح عزة بنت جميل بن
وقاص من حاجب من ضمرة ، ولذلك يقال لعزة الحاجبة والضميرية وأحب
كثير عزة وهي صغيرة وكانت حميرة حلوة الحديث .

وكثير بن عبد الرحمن شاعر مكثر من فحول الشعراء من الطبقة
الثانية من الإسلاميين بعد جرير و الفرزدق وهو أشهر من كبار شعراء عصره
عند أهل الحجاز .

وهو شاعر بدوى الأسلوب يجيد الغزل والوصف والمديح ، توفي في
المدينة ١٠٥ هـ وفي الغزل يقول :

و ما كنت أدرى قبل عزة ما البكا
و لا موجعات القلب حتى تولت
كناذرة نذراً فأوقفت وحلت

إذا وطنت - يوماً - لها النفس دلت
 تعم ولا غماء إلا تجات
 من الصم لو تمشي بها العصم زلت
 فمن مل منها ذلك الوصل ملت
 إلى، وأما بالنواول فضلت
 هوانى ولكن للملك استذلت
 لعزة من أعراضنا ما استحلت
 لدينا ولا مقلية إن تقلت
 ولا شامت إن نعل عزة زلت
 بعزة كانت غمرة فتجلت
 ولا بعدها من خلة حيث حلت
 تخليت مما بيننا وتخلىت
 تبؤ منها للمقيل اضمحلت

فقلت لها: ياعز ، كل مصيبة
 ولم يلق إنسان من الحب ميعنة
 كأنى أنا دى صخرة، حين أعرضت
 صفوحًا فما تلاقك إلا بخيالة
 فما أنصفت، أما النساء فيغضت
 يكلفها الغيران شتمى، وما بها
 هنئًا مريئًا - غير داء مخامر -
 أسيئ بنا أو أحسننى ، لاملومة
 فيما أنا بالداعى لعزة بالجوى
 فلا يحسب الواشون أن صبابتى
 فوالله ثم الله ما حل قبلها
 وإنى وتهيأمى بعزة بعدما
 لكان المرتجى ظل الغمامه كلما

الغزل الإباحى :

وفي جانب آخر تعدى شعر الغزل لدى عدد من شعراء هذا العهد
 الحدود المباحة فتحدثوا في شعرهم عن حديث النفس والهوى والرغبات
 المحظورة وسبق في هذا النوع من الشعر وليد بن يزيد الخليفة الأموى
 والأحوص، وعمر بن أبي ربيعة .

عمر بن أبي ربيعة :

أما عمر بن أبي ربيعة فقد احتط في الغزل مسلكاً خاصاً طريفاً وهو

الوصف والحوال فامتاز بذلك أسلوبه بمنع غزل جديد .

وهو أبو الخطاب وأبو حفص عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة حذيفة ابن المغيرة بن عمرو بن مخزوم من قريش ، ولد في المدينة في الليلة التي استشهد فيها عمر بن الخطاب رض في ٢٦/١٢ هـ وقد سمي عمر باسمه وكنى أيضاً أبو حفص وأبا خطاب .

نشأ في المدينة في أسرة غنية غير محتاجة إلى طلب الرزق فوفر وقته على التمتع بالنعيم والتنقل بين الحجاز واليمن والعراق والشام ، وكانت له صناعة للنسيج والتجارة به وشب عمر مثقفاً يعرف العلوم التي كانت مألفة في عصره من تفسير وحديث وفقه وأدب وكان يعرف القراءة والكتابة، يظهر من ديوان شعر عمر أنه قضى قسماً كبيراً من عمره منصراً إلى الله ومشغلاً بالتعرف إلى النساء الجميلات المشهورات .

وقد أشاع خوضه في ذكر النساء والحديث عن مغارلتهن ، الأمور التي كانت الآداب والأخلاق تفرض عدم إثارتها فاستحق الشاعر سخط المحافظين وأهل الوقار من بني قومه ونفي الشاعر إلى جزيرة وهلك في البحر الأحمر ولم يعد إلا بعد ما أقسم أن يقلع عن صبوته وقد بربق اسمه ، توفي في سنة ٩٣ هـ

عمر أشهر شعاء الغزل ومن أكابرهم ، لم يكن في الحجاز من يتقديم جميل بن معمر وعمر بن أبي ربيعة في النسيب وكان عمر يميل إلى تخيير الألفاظ الفصيحة .

وفي شعر عمر شيئاً من الصناعة اللفظية غير مقصودة ولا بارعة و كان صادقاً في التعبير عن نفسه عذب الشعر ، والقصص والحوال الصحيح

خاستان بارتان في شعر عمر وهم في الغزل خاصة ، وعمر قصر شعره كله في
الغزل وكل قصيدة عمر موضوع تام في نفسه .

وأشهر قصائد عمر وأحسنها وأصدقها تمثيلاً لطريقته قصيدة

الرائية :

وفيها الوصف والحوار الغزلي ، يقول عمر بن أبي ربيعة .

شهر إلامي بها وينكر
بمدفع أكنان ، أهذا الشهر
أهذا المغير الذي كان يذكر ؟
وعيشك ، أنساه إلى يوم أقرب
سرى الليل يحيى نصه والتهجر
عن العهد ، والإنسان قد يتغير
فيضحي وإما بالعشى فيخضر
به فلوات فهوأشعث أغبر
سوى ما نفى عنه الرداء المحرر
وريان ملتف الحدائق أحضر
فليست لشئ آخر الليل تسهر

الكنى إليها بالسلام فإنني
بآية ما قالت غادة لقيتها
قفى فانظرى ، أسماء هل تعرفينه
أهذا الذي أطربت نعتا فلم أكن
قالت : نعم لا شك غير لونه
لئن كان إيه لقد حال بعدنى
رأت رجلاً إما إذا الشمس عارضت
أخًا سفر جواب أرض تقاذفت
قليلًا على ظهر المطية ظلّه
وأعجبها من عيشها ظل غرفة
ووال كفاهَا كل شئ يهمها
ويقول أيضًا :

وكيف لما آتى من الأمر مصدر
لها وهو النفس الذي كاد يظهر
مسابيح شبت بالعشاء وأنور
وروح رعيان ونوم سمر

وبت أناجي النفس أين خباؤها
فدل عليها القلب ريا عرفتها
فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت
وغابت قمير كنت أهوى غيوبه

و خفض عن الصوت أقبلت مشية الباب وشخص حشية الحى أزفر
 فحييت إذ فأجاتها فتلهمت
 وكادت بمكثون التحية تجهز
 وقالت : وعشت بالبنان: فضحتنى
 وأنت امرؤ ميسور أمرك أعسر
 أرأيتك إذ هنا عليك ، ألم تحف
 رقيبا؟ وحولى من عدوك حضر
 فوالله ما أدرى، أتعجّل حاجة
 سرت بك، أم قد نام من كنت تحذر
 فقلت لها، بل قادنى الشوق والهوى
 إليك وما نفس من الناس تشعر
 فقلت ولانت وأفرغ روتها
 كلاب بحفظ ربك المتكبر

الغزل العام :

وكان ذلك بالإضافة إلى الغزل العام الذي قدم فيه الشعراء شعراً
 رقيقاً جرلاً ، وأجادوا إجاده في أسلوب متلائم مع حياة هذا العصر الراقي ،
 ولقد اشتهر فيه من الشعراء عدى بن الرقاع العاملى وذو الرمة والعرجى وعروة
 ابن أذينة .

وأما عدى بن الرقاع العاملى، فهو أبو داود عدى بن زيد بن مالك
 ابن عدى الرقاع وكان أبرص وكان من أهل دمشق منقطعاً إلى بني أمية ثم
 إلى الوليد بن عبد الله خاصه .

وكان عدى شاعراً مقدماً عند بني أمية مداها لهم وهو من حاضرة
 الشعراء لا من باديتهم ، وكان يعني بتنقیح شعره وهو حسن التشبيه جيد
 القول في الوصف وفي الغزل مع شئ من المجون وكان يحسن المديح والهجاء
 توفي في نحو سنة ٩٦ هجرية .

يقول عدى بن الرقاع العاملى :

أعلل من برد الكرى بالتنسم
 تردد مبكاهما بحسن الترنم
 بسعدي شفيف النفس قبل التندم
 بكاهما، فقللت الفضل للمتقدم
 وما شجاني أنتي كنت نائماً
 إلى أن بكت ورقاء في غصن أبكة
 فلو قبل مبكاهما بكيت صباة
 ولكن بكت قبلى فهاج لى البكاء
 أما ذو الرمة ! فهو أبو الحارت غيلان بن عقبة من بنى عدى بن عبد
 مناة بن أد ، وأمه امرأة من بنى أسد يقال لها طبيبة وسمى ذا الرمة (الحبل
 القصير) لأنه وصف وتدًا قديم العهد لا تزال عليه قطعة من الحبل وتهرأت
 أيضًا، ولد سنة ٧٧ هجرية ونشأ في الbadية ولكنه كان كثير الترداد إلى الكوفة
 والبصرة ، وقد ذكروا في صفتة أنه كان قصيراً بخلاً أسود دميمًا على أنه كان
 فطناً خيراً بالأمور فصحيحاً يخط و يقرأ وكان رصيناً عفيفاً تقىً وكان يعلم
 الكتابة والقراءة في الbadية .

أحب ذو الرمة مية بنت مقاتل بن طلبة المنقري وكانت على جانب
 من الجمال ولكنها كانت متقدمة السن ولقد تغزل بها ذو الرمة عشرين سنة
 من غير أن ينال منها منالا ، وأحب امرأة شابة اسمها حرقاء العامرية ولم
 يطل ذلك ، وتوفي في ١١٧ هجرية .

ذو الرمة شاعر مكثر مطيل مجيد مشهور وشعره متفاوت في الجودة
 وهو بدوى الشعر و كان يكره نفسه عليه و علماء العربية يهتمون بشعره لما فيه
 من الكلمات الغربية والكلمات النادرة في الاستعمال .

يقول ذو الرمة :

فما زلت أبكي عنده وأخاطبه	وقفت على ربع ليرة ناقتي
رخيماً ومن خلق تعلل جادبه	فيالك من خد أسيل ومنطق

ألا لا أرى مثل الهوى داء مسلم
كريم و لا مثل الهوى ليم صاحبه

ويقول :

إذا هبت الأرياح من نحو جانب
هوى تذرف العينان منه وإنما
به أهل من هاج شوقى هبوبها
هوى كل نفس حيث حل حبيبها

وقال أيضًا :

لها بشر مثل الحرير و منطق
وعينان قال الله كونا فكانتا
رخيم الحواشى لا هراء ولا نزر
فعولان بالأبابا ما تفعل الخمر

وعروة بن أذينة اسمه يحيى بن مالك أحد بنى ليث بن بكر بن عبد
مناة ويكنى عروة بن أذينة أبا عامر و هو شاعر غزل مقدم من شعراء المدينة
وهو معروف في الفقهاء والمحاذين روى عنه مالك بن أنس وهو القائل :

لقد علمت وما الاسراف من خلقى أن الذى هورزقى سوف يأتينى
أسعى إليه فيعيينى تطلب ولو جلست أتسانى لا يعيينى

من أبيات طويلة ولها حكاية بلغة بينه وبين هشام بن
عبدالملك تطلب من كتب الأدب، وله غزل رقيق ورثاء بارع وحكمة كثيرة

توفي في سنة ١٣٠ هـ

يقول عروة بن أذينة :

إن التي زعمت فؤادك ملها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها
حجبت تحيتها فقلت لصاحبها
إذا وجدت لها وساوس سلوة
خلقت هواك كما خلقت هوى لها
بلباقة ، فأدقها وأجلها
ما كان أكثرها لنا وأقلها
شفع الضمير إلى الفؤاد فسلوها
ويقول أبو صخر الهذلي : وهو عبد الله بن مسلم السهمي الهذلي وكان

من أنصار بنى أمية وكان شاعراً غزا رقيقاً فصيغ الألفاظ سهل التراكيب
واضح المعانى ، على شعره أثر الإسلام والقرآن وكانت له قدرة في النثر أيضاً .

أمات وأحيا والذى أمره الأمر
أليفين منها لا يروعهما الذعر
وزدت على ما لم يكن بلغ الهرج
ويا سلوة الأيام، موعدك الحشر
فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر
بتائنا لأخرى الدهر ما وضف الفجر
فأبهت لا عرف لدى ولا نكر
لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى
فيها هجر ليلى قد بلغت بي المدى
ويا حبها زدنى جوى كل ليلة
عجبت لسعى الدهر بيني وبينها
وإننى لأتىها وفي النفس هجرها
فما هو إلا أن أراها فجاءة

وقال نصيب الأكبر: وهو نصيب بن رياح مولى عبدالعزيز بن مروان ،
كان شاعراً فحلاً فصيحاً مقدمًا في النسيب والمديع ، عفيفاً لم ينسب بأمرأة
قط ، وكان كبير النفس ذا مكانة عند الملوك ، يجيد مدحهم ومراثيهم وشهادته
أهل وقته بالإجاده والتقدم ، وله شعر سهل ممتنع سائع عذب رائع كأنه اللؤلؤ
الرطب ، وكان عبداً رقيقاً نوبياً شديد السواد عاش على الرق زماناً ثم كاتب
على نفسه فصار حراً توفي في سنة ١٠٥ هـ .

على فنن وهنا وإنى لنائم
لنفسى مما قد رأته لللائم
لسعدى ولا أبكى وتبكي الحمام
لما سبقتني بالبكاء الحمام
لقد هتفت في جنح ليل حمامه
فقلت اعتذاراً عند ذاك وإننى
أأزعم أنى هائم ذو صباية
كذبت وبيت الله لو كنت عاشقاً

الفصل الثاني

أغراض أخرى

شعر السياسة والدين :

ولقد بُرِزَ في شعر هذا العهد نوع جديد ، وهو شعر السياسة والدين و ذلك بتأثير أسباب ذكرناها فيما سبق فكان في الشعراء من يوالون على بن أبي طالب عليهما السلام ويمزجون أفكارهم السياسية بالروح الدينية وكان فيهم من يخضعون لعقيدة الخوارج ويمزجون أيضًا السياسة بالروح الدينية وكان فيهم من يوالون بنى أمية في سياستهم ورأيهم في الحكم والخلافة ، وكان فيهم أيضًا من يوالى عبدالله بن الزبير عليهما السلام وهو الذي حكم الحجاز لمدة من الزمن معارضًا للحكومة الأموية .

ومن فحول الشعراء الموالين لعلى بن أبي طالب عليهما السلام الكمي بن زيد الأسدى وهو يقول في مدح آل البيت .

ولا لعبًا منى، وذو الشوق يلعب طربت، وما شوقا إلى البيض أطرب
إلى الله فيما نابني أنقرب إلى النفر البيض الذين بحبهم
بهم ولهم أرضى مرارًا وأغضب بنى هاشم رهط النبي ، فإننى
إلى كنف عطفاه أهل ومرحب خفشت لهم مني جناح مودة

نوازع من قلبي ظماء وألتب
يقول وفعلى- ما استطعت- لأجنب
الأخاب هذا ، والمشيرون أخيب
وطائفه قالوا: مسيئ ومذنب
ولا عيب هاتيك التي هي أعيوب

إليكم ذوى آل النبي تطلعـت
فإنـتـى عن الأمر الذى تكرهـونـه
يشـيرـونـ بالـأـيـدىـ إـلـىـ، وـقـولـهـمـ
فـطـائـفـةـ قدـ كـفـرـتـنـىـ بـحـبـكـمـ
فـماـ سـاءـنـىـ تـكـفـيرـهـاتـيـكـ مـنـهـمـ

ومنـهـمـ كـثـيرـ بـنـ عـبـدـ الرـحـمـنـ ، وـهـوـ يـقـولـ

أـلـاـ إـنـ الـأـئـمـةـ مـنـ قـرـيـشـ وـلـاـ الحـقـ أـرـيـعـةـ سـوـاءـ

عـلـىـ وـالـثـلـاثـةـ مـنـ بـنـيهـ هـمـ الـأـسـبـاطـ لـيـسـ بـهـمـ خـفـاءـ
فـسـبـطـ سـبـطـ إـيمـانـ وـبـرـ وـسـبـطـ غـيـبـتـهـ كـرـيـلـاءـ
وـسـبـطـ لـاـ تـرـاهـ العـيـنـ حـتـىـ يـقـودـ الـخـيـلـ يـقـدـمـهـ الـلـوـاءـ
تـغـيـبـ، لـاـ يـرـىـ، مـنـهـ زـمـانـاـ بـرـضـوـىـ عـنـهـ عـسـلـ وـمـاءـ

منـ فـحـولـ الشـعـرـاءـ الـخـاصـعـينـ لـفـكـرـةـ الـخـواـرـجـ الـطـرـمـاـحـ بـنـ الـحـكـيمـ وـ

هـوـ يـقـولـ تـحـتـ عـاطـفـتـهـ الـدـيـنـيـةـ الـخـارـجـيـةـ فـيـ الـحـمـاسـةـ :

وـإـنـىـ لـقـتـادـ جـوـادـىـ فـقـاذـفـ بـهـ وـبـنـفـسـىـ، الـعـامـ، إـحـدىـ الـمـقـاذـفـ
لـأـكـسـبـ مـالـاـ أوـ أـوـفـلـ إـلـىـ غـنـىـ مـنـ اللـهـ يـكـفـيـنـىـ عـدـاتـ الـخـلـائـفـ
فـيـارـبـ، إـنـ حـانـتـ وـفـاتـيـ فـلـاـ تـكـنـ عـلـىـ شـرـجـعـ يـعـلـىـ بـخـضـرـ الـطـارـفـ
وـلـكـنـ قـبـرىـ بـطـنـ نـسـرـ مـقـيلـهـ بـجـوـ السـمـاءـ فـيـ نـسـورـ عـوـاـكـفـ
وـأـمـسـىـ شـهـيدـاـ ثـاوـيـاـ فـيـ عـصـابـةـ يـصـابـونـ فـيـ فـجـ منـ الـأـرـضـ خـائـفـ
فـوـارـسـ مـنـ شـيـبـانـ أـلـفـ بـيـنـهـمـ تـقـىـ اللـهـ نـزـالـوـنـ عـنـدـ التـزاـحـفـ
إـنـاـ فـارـقـواـ دـنـيـاـهـمـ فـارـقـواـ الأـذـىـ وـصـارـواـ إـلـىـ مـيـعادـ مـاـ فـيـ الـمـاصـافـ

أـمـاـ الـذـيـنـ نـاصـرـواـ بـنـىـ أـمـيـةـ فـيـ فـكـرـهـ الـسـيـاسـىـ فـكـانـ عـدـدهـمـ كـبـيرـاـ

لاتسع دولتهم وامتدادها لدة طولية ، وانتقل إلى موالاتهم عدد من الشعراء
الذين كانوا ضدهم في بدم الأمر، ومن نماذج هذا النوع من الشعر ما يلى :

يقول كعب بن جعيل التغلبى في تأييد بنى أمية :

أرى الشام تكره ملك العراق
وأهل العراق لهم كارهونا
يرى كل ما كان ذاك دينا
إذا ما رأمونا رمينا هم
وقالوا : على إمام لنا
وقالوا: نرى أن تدينوا لنا
ومن دون ذلك خرط القتاد
وكل يسر بما عنده
وما في على - لست اتعتب
وإياتاره اليوم أهل الذنوب
ويقول مسكين الدارمى في ترشيح يزيد للخلافة ، ومسكين الدارمى
هوربيعة بن عامر بن أنيف من بنى دارم من قيم ، تهاجمى مع الفرزدق زماناً
ثم انصرف عن ذلك ، وهو شاعر مجيد شريف رقيق اللفظ حسن المعنى
واضح الغاية ، ولكن مقل ، وهو الذى اقترح بشعره على معاوية ابن أبي
سفيان رضى الله عنهما بتولية يزيد ، كانت وفاته في نحو ٩٠ هـ .

ألا ليت شعري، ما يقول ابن عامر
ومروان أم مادا يقول سعيد
إذا المنبر الغربي خلاه به
فإن أمير المؤمنين يزيد
على الطائر الميمون والجد صاعد
لكل أنس طائر وجدود
فلا رلت أعلى الناس كعبا ولا تزال
وفود تساميها إليك وفود

و لا زال بيت الملك فوقك عاليًا

تشيد أطناب لـ^{لله} و عمود

شعر الأدب والحكمة والحماسة:

ولمسكين الدارمى في الأدب والحكمة :

على سر بعض، غير أنى جماعها
إلى صخرة أعيان الرجال انصدعاها
وموضع نجوى لا يرام اطلاعها
و فتیان صدق لست مطلع بعضهم
يظلون شتى في البلاد وسرهم
لكل امرئ شعب من القلب فارغ
وفي الأدب والحكمة يقول المقنع الكندي أيضًا :

والمقنع لقب غالب عليه ، واسمه محمد بن ظفر بن عمير ينتهي نسبه
إلى كندة بن عفير ، وإنما لقب بالمقنع لأنه كان أجمل الناس وجهًا ، وكان
يفنق وجهه لثلا تصيبه العين ، وهو شاعر مقل من شعراء عهد بنى أمية ، و
كان له محل وشرف ومروءة وسؤدد في عشيرته وكان متخرقاً في عطایاه ،
سمع اليد بما له لا يرد سائلاً ، حتى تلف ماله في ذلك ثم إن المقنع أحبت ابنته
عمه فخطبها من إخواتها فرفضوا وغيروا بالفقر ، توفي في عهد عبد الملك بن
مروان .

يعاتبني في الدين قومي وإنما
أسد به ما قد أخلوا وضيعوا
ثبور حقوق ما أطافوا لها سدا
وفي حفنة ما يغلق الباب دونها
مكللة لحمًا مدقة ثردا
وفي فرس نهد عتيق جعلته
حجاباً لبيتى ثم أخدمته عبداً
وإن الذي بيني وبين بنى أبي
وبين بنى عمى لختلف جداً
فإن أكلوا لحمى وفترت لحومهم
وابن هدموا مجدى بنيت لهم مجدًا

وإن هم هبوا غيّرٍ هويت لهم رشدا
 زجرت لهم طيراً شربهم سعداً
 وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
 وإن قل مالى لم أكلفهم رفدا
 وما شيمه لغيرها تشبه العبدا
 وإن ضيعوا غيبي حفظت غيبهم
 وإن زجرروا طيراً بنحس تمربي
 ولا أحمل الحقد القديم عليهم
 لهم جل مالى إن تتبع لي غنى
 وإنى لعبد الضيف ما دام نازلا
 وقال سعد بن ناشر: وهو شاعر إسلامي في الدولة الرومانية ، من بنى
 مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، وسبب هذه الأبيات أنه كان أصاب دما
 فهدم بلال بن أبي بردية داره بالبصرة وحرقها وقبل إن الحاج هو الذي هدم
 داره .

على قضاء الله ما كان جالباً
 سأغسل عنى العار بالسيف جالباً
 لعرضى من باقى المذمة حاجباً
 وأذهل عن داري وأجعل هدمها
 يمينى بيدراك الذى كنت طالباً
 وبصغرفي عينى تلادى إذا انتشت
 تراث كريم لا يبالى العواقباً
 فإن تهدموا بالغدر دارى فإنها
 بهم به من مفطع الأمر صاحباً
 أخرى غمرات لا يزيد على الذى
 ولم يأت ما يأتى من الأمر هائباً
 إذا هم لم تردع عزيمة همه
 إلى الموت خواضا إليه الكثائباً
 فيما لرزم رشحوا بي مقدمها
 ونكب عن ذكر العوائب جانبها
 إذاهم ألقى بين عينيه عزمه
 ولم يستشرف في رأيه غير نفسه

وقال قطرى بن الفجاءة في الحماسة : وقطرى بن الفجاءة هو أبو
 نعامة ابن مازن بن زيد بن مناة كان من الخواج الأزارقة و كان قائداً رعياً
 لهم وكان فارساً شجاعاً وكان خطيباً شاعراً ، أما شعره فكان في الحماسة

والاستهانة بالموت متين السبك شديد الأسر، أما خطبه فهى في الحث على التقوى والرغبة عن الدنيا سقط قتيلاً في سنة ٧٨ هـ

أقول لها وقد طارت شعاعا
من الأبطال ويحك لن تراعى
على الأجل الذى لك لم تطاعى
فما نيل الخلود بمستطاع
فيطوى عن أخي الخنجر اليراع
فادعىه لأهل الأرض داع
وتسلمه المنون إلى انقطاع
إذا ما عد من سقط المتساع

. فإنك لو سألت بقاء يوم
فصبراً في مجال الموت صبرا
ولا ثوب البقاء بثواب عز
سبيل الموت غاية كل حى
ومن لا يتع brittle يسأم ويهزم
وما للمرء خير في حياة

الرجز:

الرجز نوع من الشعر بدأه العرب في جاهليتهم كانوا يصرعون صدوره وأعجزوه على روى واحد ، والرجز أقدم الأوزان العربية وأسهل أنواع الشعر وأقلها تكلفاً ، ويبدو أنه كان سجعاً تطور إلى الشعر وهو بحر تفاعله : مستفعلن مستفعلن مستفعلن - مستفعلن مستفعلن مستفعلن .

وتسمى قصيدة الرجز بالأرجوزة وقد استخدمها الشعراء في عهد بنى أمية لأغراض شعرية مختلفة ، واعتني اللغويون بالرجز لاحتوائه على مادة لغوية كثيرة ، واشتهر في رجز هذا العهد العجاج بن رؤبة وأبو الأغلب العجلى وأبو النجم .

ومن شاذجه ما يقوله أبو النجم الراجز في أرجوزته المشهورة التي أعجبت أهل البصيرة بالأدب العربي ، يقول عنها ابن قتيبة إنها أجود أراجيز

العرب، وأبو النجم : هو الفضل (أو المفضل) بن قدامة العجلاني من بنى ربيعة من بكر بن وائل ، ولد سنة ٤٠ هـ وكان مسكنه في ضواحي الكوفة و كان يأوى إلى المساجد ، اتصل بيلى أمية في أيام عبد الملك ومدح الحجاج أيضًا ، وأبو النجم من رجائز الإسلام الفحول المقدمين المشهورين ، وكان مكثراً يقول رجراً وقصيدة فيجيد غير أن شعره متفاوت فيه الجيد والردي ، توفي سنة ١٢٠ هـ

أعطى فلم يبخل ولم يبخ تبقلت من أول المتقبل يدفع عنها العز جهل الجهل بالنصف من حيث غدت والمنزل والظل عن أخفاها لم يفضل يهدى بها كل نياف عندل من شهوة الماء فرز معضل	أَحْمَدَ اللَّهُ الْوَهْوَبُ الْمَجْلِ كُومُ الدُّرِّيْ مِنْ خُولُ الْمَخْلُ بَيْنَ رَمَاحِيْ مَالِكٍ وَنَهَشَلَ حَتَّى إِذَا الشَّمْسُ بَدَتْ لِلْقِيلَ جَاءَتْ تَسَامِيْ فِي الرَّعِيلِ الْأَوَّلَ مَائِرَةً الْأَيْدِيْ طَوَالَ الْأَرْجُلَ لَوْ جَرْشَنْ وَسَطَهَا لَمْ تَحْفَلَ
--	--

الفصل الثالث

شعر الناقص

أما في الشعر الجدلي الشخصي والقبلي الذي ظهرت فيه المنازعات الشخصية والمهاترات الفردية والقبالية ، فلقد اشتهر فيه ونبغ نبوغاً ظاهراً ثلاثة شراء وهم الأخطل وجرير و الفرزدق ، و كان من الدواعي الحقيقية في هذه المناقضات خصومات فردية ، أو انتتماءات قبلية مختلفة ، إنها وجدت في جو الخصومات السياسية والمذهبية السائدة في هذا العهد حافراً لظهورها فقد كان الأخطل تغلبًا ومسيحيًا ، وقبيلة تغلب من ربيعة وقبائل ربيعة كانت تعصب ضد قبائل مصر واليمن ، وكانت مسيحية الأخطل تحرك عصبية المعارضة للمسلمين ، وهي التي ساعدته في قيامه بهجاء للأنصار رضى الله عنهم ، أما تأييده لبني أمية فلكونهم حاكمين يملكون النفع والضرر . وكان الفرزدق وجرير من قبيلة تميم من أسرتين مختلفتين ، وكانت تميم قبيلة مصرية تميل إلى بني هاشم لكون الرسول ﷺ منهم ولكن جريراً مال إلى رجال الحكم من بني أمية ليستعين بذلك في دعم مكانته ، وهو من أسرة ضعيفة المركز في تميم ، بالنسبة إلى أسرة الفرزدق ، ذات مآثر معروفة لأعيانها وبالاضافة إلى الفوارق النسبية ، هذا وكانت مصالح وأحداث فردية أيضاً تعمل في تسعير حرب المناقضات التي اتسعت فشملت عشرات من

شعراء هذا العصر ، وكانت تعمل فيها حساسيات مختلفة .

وكان جرير والفرزدق بطلـى هذا القـسم من الشـعر ، وانقـسم إلـيـهما جـمـيع شـعـراء عـصـرـهـما ، فـمـنـهـم مـنـ كـانـ يـناـصـرـ جـرـيرـاـ وـيـعـارـضـ خـصـومـهـ . وـمـنـهـم مـنـ كـانـ يـعـارـضـ وـيـنـاصـرـ الفـرزـدقـ ، وـأـخـذـ هـذـانـ الشـاعـرـانـ وـأـتـبـاعـهـما مـنـ وـرـائـهـمـاـ يـتـرـامـونـ بـالـشـعـرـ فـيـمـاـ بـيـنـهـمـاـ ، وـيـتـفـاخـرـونـ وـيـتـهـاجـونـ ، وـأـبـدـواـ فـيـ ذـلـكـ مـهـارـتـهـمـ الـأـدـبـيـةـ ، فـحـصـلـ مـنـهـ شـعـرـ قـوـيـ كـثـيرـ ، وـلـئـنـ كـانـ فـيـ بـابـ المـنـاقـضـاتـ بـعـضـ السـوـءـ مـنـ مـهـارـتـهـاـ غـيـرـ لـائـقـةـ فـإـنـهـاـ كـانـتـ سـبـبـاـ لـإـدـرـارـ الـقـرـائـحـ وـإـنـتـاجـ أـدـبـ شـعـرـ رـاـخـرـ بـلـيـغـ أـيـضاـ ، وـلـقـدـ فـاقـ فـيـ بـعـضـ نـوـاحـيـهـ الفـرزـدقـ وـبـرـزـ عـلـىـ خـصـمـهـ جـرـيرـ ، وـفـاقـ جـرـيرـ فـيـ أـخـرـاـهـاـ عـلـىـ خـصـمـهـ الفـرزـدقـ وـخـصـمـهـ الـآـخـرـينـ . وـأـكـثـرـ شـعـرـهـماـ فـيـ المـنـاقـضـاتـ وـقـدـ جـمـعـ هـذـاـ الشـعـرـ فـيـ كـتـابـ وـطـبـ عـلـىـ اـنـفـارـادـ :

إقرأ على سبيل المثال قصيدة الفرزدق التي مطلعها :

إن الذي سـمـكـ السـمـاءـ بـنـىـ لـنـاـ بـيـتـاـ دـعـائـمـهـ أـعـزـ وـأـطـولـ

إلى أن يقول :

بـيـتـاـ زـارـةـ مـحـتبـ بـفـنـائـهـ وـمـجاـشـعـ وـأـبـوـ الـفـوـارـسـ نـهـشـلـ

أـبـدـاـ إـذـاـ عـدـ الـفـعـالـ الـأـفـضـلـ لـاـ يـحـتـيـ بـفـنـاءـ بـيـتـكـ مـثـلـهـ

فيـجـيـبـهـ جـرـيرـ فـيـ نـقـيـضـهـ لـهـاـ :

أـخـرـىـ الـذـيـ سـمـكـ السـمـاءـ مـجاـشـعـاـ وـبـنـىـ بـنـاءـتـ فـيـ الـحـضـيـضـ الـأـسـفـلـ

بـيـتـاـ يـحـمـ قـيـنـكـ بـفـنـائـهـ دـنـسـاـ مـقـاعـدـهـ خـبـيـثـ الدـخـلـ

قـتـلـ الـزـيـرـ وـأـنـتـ عـاـقـدـ حـبـوـةـ تـبـاـ لـحـبـوـتـكـ الـتـىـ لـمـ تـحـلـ

ويـقـولـ الفـرزـدقـ :

حلـ الـمـلـوكـ لـبـاسـنـاـ فـيـ أـهـلـنـاـ وـالـسـابـغـاتـ إـلـىـ الـوـغـىـ تـسـرـيلـ

فيجيبه جرير:

بعد الزبير كحائض لم تغسل

لا تذكروا حل الملوک فانكم

ويقول الفرزدق:

وتخلنا جنا إذا مانجهل
ثهلان ذا الهضبات هل يتحلل
إليه كان حباء جفنة ينفل
وأبوبك خلف أتائه يتقلمل

أحلامنا تنز الجبال رزانة
فادفع بكفك إن أردت بناءنا
حالى الذى غصب الملوک نفوسهم
إننا لنضرب رأس كل قبيلة

فيجيبه جرير:

مثل الذليل يعود تحت القرمل
ليس ابن ضبة بالمعن المخول
خفت فلا يزنون حبة خردل
فسقية آخرهم بكأس الأول
وضغى البعيث جدعت ألف الأخطل

كان الفرزدق إذ يعود بخالة
وافخر بضبة إن أملك منهم
أبلغ بنى وقبان أن حلومهم
أعددت للشعراء سما ناقعا
لما وضعت على الفرزدق ميسمي

ويقول في الأخطل وكان يسمى بدوبيل كذلك ومعناه الخنزير:
بكى دوبيل لا يرمي الله دمعه ألا إنما يبكي من الذل دوبيل

ويقول الأخطل في مدح نفسه وهجاء جرير:

قبل العيال ونقل الأبطالا
قتلا الملوک وفكوا الأغلالا

إنـا نجعل بالعبيط لضيقـنا
أبنيـ كـلـيـبـ، إنـ عـمـيـ اللـذا

ويقول :

ولقد جشمت، جرير أمرًا عاجراً
ووهبت سوءة أمن الجهالا
منتك نفسك في الخلاء ضلالا

فانعق لضائقـ، يا جـرـيرـ، فـإـنـماـ

أو أن توارن حاجبا وعقالا
 ففزت حديثه إليك فشالا
 منتك نفسك أن تكون كدارم
 وإذا وضعتم أباك في ميرانهم
 ويقول جرير:

 لا تجوز حكومة النشوان
 إن الحكومة في بنى شيبان
 ياخز رغلب لستم بهجسان
 فإذا الغباوة إن بشرا قد قضى
 فدعوا الحكومة لستم من أهلها
 قتلوا كلبيكم بلحقة جارهم

 هؤلاء الشعراء الثلاثة أعظم شعراء عصرهم وقد قال أبو عبيدة "أجمع
 الناس على أن أشعارهم في الإسلام ثلاثة: الفرزدق وجرير والأخطل و ذلك
 أنهم أعطوا حطا في الشعر لم يعطه أحد غيرهم في الإسلام ، مدحوا قوما
 فرفعوهم ، وذموا قوماً فوضعوهم ، وهجاهم قوم فربوه وأفحموهم ، وهجاهم
 آخرون فرغبو بأنفسهم عنهم وعن الرد عليهم فأسقطوهم " وقد شغلوا أذهان
 الناس في عصرهم وكان شعرهم راداً أدبياً ثميناً .

الأخطل

أما الأخطل فهو أبو مالك غياث بن غوث التغلبى كان من قبيلة
 تغلب، وهى قبيلة ذات شجاعة وحمية وفخر وعرفت في الجاهلية وفي
 الإسلام بهذه الخصائص وامتاز تاريخها بأعمال متسمة بذلك ، فورث الأخطل
 الحمية والاعتزاز بنفسه منها ، وكان ناصريًا فلم يكن ملتزماً بالآداب
 الإسلامية ولم يكن يراعيها إلا في الحدود التي تفرض عليها السياسة ولاءه
 للأمويين ، فقد كان موالياً للأمويين يؤيدهم ويمدحهم وينال منهم الجزاء وقد
 قام بالطعن على السادة الأنصار لما وقعت معاقبة بين يزيد بن معاوية ولـى

العهد وعبدالرحمن بن سيدنا حسان بن ثابت الأنباري رض فاستحق سخط المسلمين وكراهيتهم له لتعرضه لعرض رجل من الكرماء الأجلاء من المسلمين ، وكان مجاهاً بشرب الخمر وقد يأتى بما يكرهه المجتمع الإسلامي ويتفق مع ميوله الإباحية .

ومع ذلك كان شاعرًا قوى الأسلوب ، يمتاز بإجاده المدح ونعت الخمر وقلة البناء في الهجاء وسلامة قصائده الطوال من اللغو والسقط . ولد في الجزيرة الفراتية في العراق بين بني قومه وعاش متربداً إلى دمشق عاصمة الأمويين ، وتعرض الأخطل لجرير في المخاصمات التي جرت بينه وبين الفرزدق فرد عليه جرير ردًا أسكته ، وذلك لأن الأخطل كان قد كبرت سنّه حينذاك وكان جرير فتياً قوياً ، توفي بالبصرة في ٩٥ هـ .

نموذج من شعره

قال مدح عبدالملك بن مروان :

أبدى النواخذ يوماً عارم ذكر
خليفة الله يستسقى به المطر
ما إن يوارى بأعلى نبتها الشجر
إذا ألمت بهم مكروهه صبروا
ولا يبین في عيادتهم خور
وأوسع الناس أحلاماً إذا قدروا
قل الطعام على العافين أوقفروا
نمث فلا منه فيه لا كدر
نفسى فداء أمير المؤمنين إذا
الخائض الغمرة الميمون طائره
في نبعة من قريش يعصمون بها
حشد على الحق عيافو الخنا أنف
لا يستقل ذوو الأضغان حربهم
شمس العداوة حتى يستقاد لهم
هم الذين يبارون الرياح إذا
بني أمية نعماكם مجالدة

وقال يهجو الأنصار :

كالجحش حماراً وحمار
بالجزع بين صليصل وصرار
حمرأً عيونهم من المسطار
وخدوا مساحيكם بنى النجار
واللؤم تحت عمامي الأنصار

وإذا نسبت ابن الفريعة خلته
لعن الله من اليهود عصابة
قوم إذا هدر العصيراً يتهم
خلوا المكارم لستم من أهلها
ذهبت قريش بالفاحر كلها
ومن قوله :

طول الحياة يزيد غير خبال
ذخراً يكون ك صالح الأعمال

والناس همهم الحياة ولا أرى
وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد

الفرزدق

هو أبو فراس همام بن غالب التميمي ولد ونشأ في البصرة فدرج في
بيئة الأدب وشب في الفصاحه وبلاعه القول واشتهر بشعره القوى الفخم
المشتتم على اللفظ الجزل والأسلوب المؤثر.

يعد الفرزدق من أكبر شعراء عصره بل كان واحداً من الشاعرين
الفریدين في عصرهما ، هو وجیر ، كان كلاهما من قبيلة تمیم ، غير أن
أسرتيهما اختلفتا في المكانة والشهرة .

كان الفرزدق من أسرة ذات شهرة وصيت في خصائص الفتوة
والمروءة العربيتين ، فكان يكثر ذكرها لللاحتجاج على خصمه جرير و كان يعد
ما ثر قومه وأسرته فيح بها خصمه ، تخاصم هو وجیر و جرت بينهما
مناقضات شعرية استرعت انتباه أهل الذوق الأدبي في عصرهما وانقسم

الناس بين فريقين في فريق الفرزدق وفريق جرير، وفيل شعر كثير ورائع في هذه المناقضات، وهي، وإن كانت مهارات غير حسنة ولكنها أضافت إلى ثروة الشعر العربي البليغ وأثرت على المادة الشعرية لذلك العهد الشعري.

ومن أبرز سمات أسلوب الفرزدق الفخامة واستعمال الكلم الغريب وذكر أيام العرب وأنسابهم واحتذاء الbadin في أساليبهم وقد غالب شعره في الفخر وهي طبيعة شعرية غالبة في العرب ولذلك أعجب به الرواة وفضلته النحاة وقالوا لو لا الفرزدق لذهب ثلث العربية.

كان الفرزدق ولوغاً بتعداد ما تأثر آبائه حتى أمام الخلفاء وكان غير ملتزم بالنزاهة في ذكر الفجور والأخلاق البذيئة ولكنه مع ذلك يذكر أهل الدين، ويظهر حبه لهم وبخصوص بذلك آل بيت الرسول ﷺ وله شعر قوي بليغ في ذلك، وله شعر في مخاطبة الشيطان والتدليل عليه وفي ذكر الذئب والمحاروة معه.

عاش الفرزدق في البصرة وملأ أسماع الناس بجيد قصائده، وتوفي في السنة العاشرة التي توفي فيها جرير أيضاً بعده بسبعين شهر، وبموتهما انتهى العهد الشعري العربي الأصيل واضمحلت سمعتها العربية بعده لامتناع الخصائص الشعرية الأصلية بالخصوصيات الشعرية الواقفة، وتوفي في ١١٠ هـ.

نموذج من شعره

إذا اغبر آفاق السماء وكشفت	بيوتا وراء الحى نكبات حرف
وأصبح مبيض الصقبح كأنه	على سروات النيب قطن مندف
ترى جارنا فيما يغير وإن جنى	فلا هو مما ينطوف الجار ينطوف

إلى الضيف فمشي بالعبيط وتلحف
عليه إذا عد الحصى يتخلاف
وإن نحن أومانا إلى الناس وقفوا
لأنك المعنى يا جرير المكلف

وكنا إذا نامت كلية عن القرى
لنا العزة القعسae والعدد الذي
ترى الناس إن سرنا يسيرون خلفنا
وإنك إذ تسعى لتدرك شأننا
وقال أيضًا :

يساوره من شدة الجوع أولق
ذرى راية في جانب الجو تحفه
وإنى حليم الكلب للضيف يطرق
 وكل جمبل قلت في يصدق
وكم قائل مات الفرزدق والندي وقائلة مات الندي والفرزدق
ومن قوله في مدح على بن الحسين :

ومستمنع طاوي المصير كأنها
دعوت بحراء الفروع كأنها
وإنى سفيه النار للمبتغى القرى
إذا مت فابكيني بما أنا أهله
وكل قائل مات الفرزدق والندي وقائلة مات الندي والفرزدق

والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا التقى النقى الطاهر العلم
العرب تعرف من أنكرت والعمجم
إلى مكارم هذا ينتهى الكرم
فما يكلم إلا حين يبتسم
ركن الخطيم إذا ما جاء يستلم
كالشمس ين稼ب عن اشراقها القتم
كفرو قربهم منجى و معتصم
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
هذا ابن خير عباد الله كلهـم
وليس قولك (من هذا) بضائره
إذا رأته قريش قال قائلهـمـ
يغضى حياء ويغضى من مهابته
يكاد يمسكه عرفان راحتهـ
يتشق نور الهدى عن نور غرتـهـ
من عشر حبـهم دين وبغضـهمـ
ومن أبياته السائرة قوله :

كان أباها نهشل أو مجاشع
فيما عجبـها حتى كلـيـبـ تسـبـيـنىـ

وقوله :

وكان إذا الجبار صرخه ضربناه حتى تستقيم الأحادع

وقوله :

ترجي ربيع أن يحيى صغارها بخير وقد أعي ربيعاً كبارها

وقوله :

قارص تأيني وبحقونها وقد يملأ القطر الاناء فيفعم؟

وقوله :

أحلامنا تزن الجبال رزانة وتخالنا جنساً إذا ما نجهل

وقوله :

ترى كل مظلوم إلينا فراره ويهرب منا جده كل ظالم

جريير (م ١١٠ هـ)

أبو حربة جرير بن عطية الخطفي التميمي ولد باليماماة ونشأ بالبادية فشب فصيح اللسان صحيح الوجدان مطبوع القرحة على الشعر، كان من أكبر شعراء عصره، بل كان واحداً من الشاعرين الفريدين في عصرهما هو الفرزدق وكان كلاهما من قبيلة تميم، غير أن أسرتهما اختلفتا في المكانة والشهرة، ولد جرير في أسرة لم تشتهر بالتأثير ولكنه امتاز بنفسه في القرحة والذكاء واستغلهما في الشعر، فحاصل القبول من أهل الذوق الأدبي والصيت بعيد حتى عدته جماعة من هواة الأدب في عصره أكبر

شعراء عصره، جرت بينه وبين البعث مخاصمة أفضت إلى مناقضات
شعرية بينه وبين شعراء عصره كان أعظمهم وأقواهم الفرزدق.

ومن أبرز سمات أسلوبه براءته من خبث الأخطل وسکره ومن جفاء
الفرزدق وفخره ، وامتاز برقة الشعور وطلاؤ الأسلوب وحلاؤ الغزل ومرارة
الهجاء وإجاده الرثاء وحسن التصرف في جميع فنون الشعر.

ولد ونشأ جرير في اليمامة وانتقل إلى البصرة وما لبث الشاعران : هو
والفرزدق أن تخاصما فبدأت القصائد التي ينقض بعضها البعض الآخر حتى
حصلت مجموعة منها سميت بالنقائض وقد أضافت هذه القصائد إلى ثروة
الشعر العربي حيث أنها نتائج سعي أدبي شعري بلين ، فقد بذل كل واحد
من الشاعرين منتهى جهدهما في المحاجة والتغلب على الآخر فوجد بذلك
شعر قوى بلين رائع .

توفي جرير بعد الفرزدق بسبعة أشهر في سنة ١١٠ هـ أيضاً ودفن
باليماماة فكانت سنة نهاية عهد أدبي لم ينقطع منذ الجاهلية في الخصائر
العربية الحقيقة التي تغيرت بعد ذلك لامتزاج الخصائر الواقفة من آداب
الشعوب المحيطة بالجزيرة العربية .

نموذج من شعره

قال يهجو الفرزدق :

لقد ولدت أم الفرزدق مقرفا
فجاءت بوزار قصير القوادم
ليوصل حبليه إذا جن ليلى
وقصرت عن باع العلى والمكارم

هوالرجس يا أهل المدينة فاحذروا
لقد كان إخراج الفرزدق عنكم
ومن جيد قوله فيه :

تعالوا نحاكمكم وفي الحق مقنع
فإن قریش الحق لم تتبع الهوى
اذكركم بـالله من ينهل القنا
وكنتم لنا الأتباع في كل موقف
إذا عدت الأيام أخذيت دارماً
وما زادني بعد المدى نقض مرأة
إلى الغرم من أهل البطاح الأكارم
ولم يرهبوا في الله لومة لائم
ويضرب كبس الجحفل المترافق ؟
وريش الذنابيتابع للقوادم
وتخزيك يا ابن القين أيام دارم
ولارق عظمى بالضروس العواجم

ومن قوله مدح عمر بن عبدالعزيز :

إنما للزوج إذا ما الغيث أخلفنا
نان الخلافة إذ كانت له قدراً
أذكر الجهد والبلوى التي نزلت
مارلت بعده في دار تعرقنى
لا ينفع الحاضر المجهود بادينا
كم بالمواسم من شعثاء أرملة
يدعونك دعوة ملهوف كأن به
من يعذك تكفى فقد والده
من الخليفة ما نرجو من المطر
كما أتى ربه موسى على قدر
أم نكتفى بالذى بلغت من خبرى
قد طال بعده إصعادى ومنحدرى
ولا يوجد لنا باد على حضر
ومن يتيم ضعيف الصوت والبصر
مسا من الجن أو رزءاً من البشر
كالفرح في العش لم ينهض ولم يطر

ومن أبياته التى تفرد بها قوله في الغزل :

إن العيون التى في طرفها حور
قتلنا ثم لم يحيى فتلانا
وهن أضعف حلق الله إنسانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حرak به

وقوله في الفخر :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غصابا

وفي الهجاء :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وفي التهكم :

رعم الفرزدق أن سيقتل مربعا أبشر بطول سلامه يا مربع

ومن جيد فخره قوله :

إن الذى حرم المكارم تغلبها
جعل الخلافة والنبوة فىنا

مضر أبي وأبا الملوك، فهل لكم
يا خزر تغلب من أب كأبينا

هذا ابن عمى في دمشق خليفة
لو شئت ساقكم إلى قطرين

الطرماح بن حكيم

كان يكنى أبا نفروأبا ضبيبة ، ويلقب بالطرماح وهو الطرماح بن حكيم بن الحكم من بنى ثعل بن عمرو من طى ، ولد قبل الهجرة في الشام ونشأ فيها ثم إله قدم إلى الكوفة مع جيوش المسلمين ، وهناك تلقى مذهب الشراة الأزرقة ، وقد نشأت بين الطرماح وبين الكميت صدقة عجيبة فقد كانا على طرفي النقيض من النسب والمذهب والوطن حيث أنه قحطانى وخارجي وشامى ، والكميت عدنانى وشيعى وكوفى ، ولكنهما عاشا على الصداقة ولعل وحدتهما في الشعر والأدب كانت سبب اتحادهما .

اشتغل الطرماح بالتعليم حيناً وكان وقوراً مالوفاً لدى تلاميذه و كان الطرماح أنوفاً لا يتكسب بالشعر و عاش فقيراً وأسن الطرماح كثيراً . توفى بعد سنة ١٠٠ هـ .

كان الطرماح من فحول الشعراء و فصحائهم و من الخطباء . و شعره متين كثير الغريب إلا أن شعره ليس حجة لأنه مولد فيما قيل وأنه كان يتکلف إدخال الغريب في شعره بعد أن يسأل العلماء وأهل السواد عن الالفاظ في كلامهم .

و أكثر شعر الطرماح الحماسة والنقانص و هو يسأله في الوصف

وهجاءه مؤلم ولكن فيها مبالغات وتكلاما .

نموذج من شعره

و دعاني هوى العيون المراض	قل في شط نهر وان اغتماضي
ت رضا بالتقى و ذو البر راضى	فتطربت للصبا ثم أوقف
ت أخا عنجهية واعتراض	وأراني الملوك رشدى وقد كنـ
ثم ارعويت بعد البياض	غير ما ريبة سوى ريق الغـره
	و منها :
لعين تنوض كل مناض	وجرى بالذى أخاف من البين (م)
حيث تجتث رجله في أباض	صيدحى الضحى كأن نسـاه
ة أمارت بالليل ماء الكراـض	سوف تدينـك من ليس سـيـنتـا
عن زحاليف صفصف نـى دـحاضـ	فـهى قـودـا ء أـنـفـجـتـ عـضـادـهاـ
	ويقول في آخرها :
رإنا الخوف مـالـ بالـأـحفـاضـ	إـنـناـ مـعـشـرـ شـمـائـلـناـ الصـبـ
مرـائـيـبـ لـلـشـائـىـ الـمـهـاضـ	نـصـرـ لـلـذـلـيلـ فـيـ نـسـدـوـةـ الـحـىـ
يمـ رـجـالـ يـرـضـونـ بـالـأـغـماـضـ	لـمـ يـفـتـنـاـ بـالـوـتـرـ قـومـ وـلـلـضـ
ـتـ قـضـىـ بـيـنـنـاـ وـبـيـنـ قـاضـىـ	فـسـلـىـ النـاسـ إـنـ جـهـلـتـ وـلـنـ شـئـ
	وـمـنـ قـولـهـ :
بعـيـضـ إـلـىـ كـلـ اـمـرـئـ غـيرـ طـائـلـ	لـقـ زـادـنـىـ حـبـاـلـنـفـسـىـ أـنـنـىـ
شـقـيـاـ بـهـمـ إـلـاـ كـرـيمـ الشـمائـلـ	وـأـنـىـ شـقـىـ بـالـلـثـامـ وـلـاـ تـرىـ
	وـمـنـ قـولـهـ يـهـجوـبـنـىـ قـيمـ :

لو حان ورد تيم ثم قيل لها
لوا نزل الله وحيا أن يعذبها
لا عز نصر امرئ أضحي له فرس
لو كان يخفى على الرحمن خافية

حوض الرسول عليه الأزد لم ترد
إن لم تعد لقتال الأزد لم تعد
على تيم يريد النصر من أحد
من خلقه خفيت عنه بنوأسد

الكميت بن زيد الأسدى

ولد في الكوفة في نحو سنة ٦٠ هـ ونشأ فيها معلماً للصبيان وكان أصم لا يسمع كان متسبعاً لآل البيت يمدح الهاشميين ويتعصب لمصر على اليمن ومع ذلك كانت بينه وبين الطرماح صداقة ومحبة مع أنه كان خارجياً قحطانياً موالياً لبني أمية.

وكانت حياة الكمي مليئة بالاضطراب والتناقضات بخلاف حياة الطرماح، وكان الكمي من الفقهاء والخطباء والشعراء غالباً بآداب العرب ولغاتها وأخبارها وأنسابها وهو شاعر مكثري يقرر على القصائد الطوال والمقطوعات القصار غير أنه يتکلف الغريب ويقصد أحياناً إلى الصناعة اللفظية وأشهر فنونه مدائحه في آل الرسول ﷺ وفي بني هاشم وتدعى الهاشميات:

وقد مدح الكمي الأميين تكسياً ومدائحة فيهم جيدة غير أنه يمدح الهاشميين بداع من قلبه وعن عقیدته ، توفي في سنة ١٢٦ هـ.

قال الكمي بن زيد يمدح سلمة بن عبد الملك

فما غاب عن حلم ولا شهد الخنا	ولا استعبد العوراء يوماً فقل لها
وتفضل أيمان الرجال شماله	كما فضلت بمني يديه شمالها
وما أجم المعروف من طول كره	وأمراً بأفعال الندى وافتعالها
ويبدل النفس المصونة نفسه	إذا رأى حقاً عليه ابتذالها
بلوناك في أهل الندى ففضلتهم	وباعت في الأبواع قدماً فطالها
فأننت الندى في ما ينوبك والسدى	إذا الخود عدت عقبة القدر مالها

الباب الثالث

النثر و رجاله

الفصل الأول

النثر في هذا العهد وأعلامه

لقد كان الاهتمام بالنثر الفنى في الجاهلية قليلاً لأن غالبية العرب في الجاهلية كانت بدوا وأمية، فلم يلحوظوا إلى النثر الفنى إلا في أحوال نادرة ومنها المناسبات التي اقتضت الخطابة أو كتابة عهد وعقد، واختاروا الكلام النثري المؤثر عند إرسال مثل واستعماله، أو التكلم بجملة حكمة أو كلمة بلية، وكانت الأنواع التي عمت في هذه الحالات هي الخطبة والوصية والمثل والحكمة.

وجاء الإسلام بكلام نثرى رصين مبين هو القرآن الكريم وتكلم الرسول الكريم ﷺ بكلامه البلىغ. فأصبحت للعرب ثروة من النثر الفنى البلىغ تضاءل أمامه الشعر وخف تأثيره، وأقبل العرب على الكلام القرائى يستفیدون منه، وعلى كلام الرسول ﷺ يتبعونه، وعظم استعمال النثر بحكم الحياة الاجتماعية المتعددة، نشأ منه للمسلمين أدب النثر، ونمادجه الأولى هي كلام الرسول ﷺ وصحابته من أحاديث وخطب، وببدأ العهد الأموى بحاجة إلى النثر بصورة أشد بحكم مقتضيات الشفاعة السياسية والدعوية والاتصالات الاجتماعية، وقويت من أنواع النثر الفنى في هذا العهد الخطابة والرواية والترسل ومنها التوقيعات.

الخطابة :

أما الخطابة في هذا العهد فكانت استمراً للخطابة في صدر الإسلام الأول ولكن زادت فيها أمور، منها أن الخطبة طالت ، ذلك لأنها صارت تستخدم لتبلاغ أوامر الدولة ، وقد كثرت تلك الأوامر باتساع رقعة الدولة واقتضى تطور الحياة الإدارية والسياسية واتساعها بحكم الفتوح إلى بسط القول في ذلك ، ومن هنا جاء طول الخطبة في الدرجة الأولى ، ثم عرف صدر العصر الأموي ثورات وحروبًا واحتاج الولاة والقواد إلى تصريف القول بالإقناع وبالوعيد عند مخاطبة الجموع، فاقتضى ذلك أن تكون الخطبة أطول مما كانت في الجاهلية أو في صدر الإسلام الأول ، وأهم ما يميزها هي عنونة ألفاظها ومتانة أسلوبها وقوه تأثيرها واقتباسها من القرآن واتباعها لنهجه في الإرشاد والإقناع وابتداءها بحمد الله والصلوة والسلام على رسول الله ﷺ . ويتميز الخطب الأموية بعنصر التهديد والوعيد ومراعاة نفسيية المخاطبين العقلية والدينية ، وظل الاستشهاد في الخطب بالأمثال والشعر على ما كان عليه الأمر في صدر الإسلام وقبله .

أعلام الخطابة :

أما أعلام الخطابة في هذا العهد فهم زياد بن أبيه وسحبان وائل ، والحجاج بن يوسف الثقفي والحسن البصري ، وقطري بن الفجاءة وبعض الآخرين .

زياد بن أبيه

ولد زياد في مكة المكرمة في السنة الأولى من الهجرة من امرأة تسمى سمية وكانت جارية من الطائف من النساء المزينات للرجال ولم يعرف الناس والد زياد فسموه زياد بن سمية ثم اشتهر باسم زياد بن أبيه .

ونشأ زياد ذكياً فطناً ذاهية منفذاً لإرادته وعد من دهاء العرب ، وهم أربعة ، معاوية بن أبي سفيان ، والمغيرة بن شعبة ، وعمرو بن العاص ، وزياد ابن أبيه .

سكن زياد في البصرة وكان من أنصار على بن أبي طالب كرم الله وجهه ووفاته فولاه على فارس فقام بحكمها خير قيام وحاول معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما استمالة زياد إلى نفسه لما عرف من دهائه وصرامة رذكه امتنع .

ولما استشهد على بن أبي طالب كرم الله وجهه وأعلن معاوية بهـ بأن زياد من أولاد والده أبي سفيان بن حرب وذلك بسبب اتصال والده بسمية في حالة كفرهما واعترف بذلك معاوية بهـ كأخ له من والده وبه قرب معاوية بهـ زياداً إلى نفسه حتى لحق به زياد ، وولاد معاوية بهـ على البصرة وضم إليها الكوفة فيما بعد فكان والياً على المصريين وملك زياد العراق خمس سنوات فقضطه وأقر الأمان فيه .

توفي زياد في الكوفة في شهر رمضان ٥٢ هـ بمرض الطاعون .

كان زياد بن أبيه من مشاهير الخطباء . كان شديداً في الحق إلى حد العسف وكان فيه الحلم والكياسة أيضاً ، وكان في خطبه حاضر الذهن حلقة اللسان ، يطيل الخطاب ويجد ، وكانت لفاظه فصيحة وتراكيه واضحة

وأسلوبه جزاً متيناً ، وكان يعتمد على الوعيد والتهديد ويؤثر على السامعين.

خطبته

"أما بعد ! فإن الجهالة الجهلاء ، والضلال العمياء ، والغى الموفى

بأهلة على النار . ما فيه سفهاءكم ، ويشتمل عليه حلماءكم ، من الأمور
العظام ، ينبع فيها الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير ، لأنكم لم تقرأوا كتاب
الله ، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته ، والعذاب الأليم
لأهل معصيته ، في الزمن السرمدى الذى لا يزول ، أتكونون كمن طرفت عينيه
الدنيا ، وسدت مسامعه الشهوات ، واحتار الفانية على الباقيه ؟ ولا تذكرون
أنكم أحذثتم في الإسلام الحدث الذى لم تسبقوا إليه ، من ترككم الضعيف
يقهر ، والضعف المسلوبة بالنهار لا تنصر ، والعدد غير قليل ، والجمع غير
مفترق ، ألم يكن منكم نهاية يمنعون الغواة عن دفع الليل وغارة النهار ؟ فربتم
القرابة ، وباعدتم الدين ، تعذبون بغير العذر ، وتغضون على النكر ، كل امرئ
منكم يرد عن سفيهه صنع من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معاداً ، ما أنتم
بالحلماء ولقد اتبعتم السفهاء ، فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم حتى
انتهكوا حرم الإسلام ، ثم أطروقا وراءكم كنوسا في مكانس الريب ، حرام على
الطعام والشراب حتى أسوتها بالأرض هدما وإحرقاً ، إنني رأيت آخر هذا
الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله ، لين في غير ضعف وشدة في غير عنف . و
إنى لا أقسم بالله لأخذن الولى بالمولى والمقيم بالظاعن ، والمطبع بال العاصى .
والصحيح بالسقىم ، حتى يلقى الرجل أخاه فيقول : انج سعد فقد هلك سعيد .
او تستقيم قناتكم ، إن كذبة الأمير بلقاء مشهورة ، فإذا تعلقتم على بكذبة فقد

حلت لكم معصيتي ، فإذا سمعتموها مني فاغتمزوها في ، واعلموا أن عندي
 أمثالها ، من نقب منكم عليه فأنا صامن لما ذهب من ماله ، فإيابي ودلج الليل .
 فإني لا أؤتى بمدلج إلا سفكت دمه ، وقد أجلتكم في ذلك بمقدار ما يأتي الخبر
 الكوفة ويرجع إليكم ، وإيابي ودعوى الجاهلية ، فإني لا أجد أحداً دعا بها إلا
 قطعت لسانه ، وقد أحذثتم أحداً لم تكن وقد أحذثنا الكل ذنب عقوبة ، فمن
 أغرق قوماً أغرقناه ، ومن أحرق قوماً أحرقناه ، ومن نقب بيّنا نقيباً عن قلبه .
 ومن نبش قبراً دفناه فيه حياً ، فكفوا عن أيديكم وألسنتكم أكف عنكم يدى
 ولسانى ، ولا تظهر من أحدكم ريبة بخلاف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه .
 وقد كان بيني وبين قوم إحن ، جعلت ذلك دبرأذنى وتحت قدمى ، وإنى لو
 علمت أن أحدكم قتله السل من بغضى لم أكشف له قناعاً ، ولم أهتك له سريراً
 حتى يبدى لي صفحته ، فإذا فعل ذلك لم أناظره ، فاستأنفوا أموركم ، وأعينوا
 على أنفسكم ، فرب مبتئس بقدومنا سيسراً ورب مسحور بقدومنا سيبئس .
 أيها الناس : إنما قد أصبحناكم ساسة ، وعنكم ذادة ، نسوسكم
 بسلطان الله الذي أعطانا ، ونذود عنكم بفی الله الذي خولنا ، فلنا عليكم
 السمع والطاعة فيما أحببنا ، ولكم علينا العدل فيما ولينا ، فاستوجبوا عدنا
 وفيتنا بمناصحتكم لنا ، وأيم الله ، إن لي فيكم لصرعى كثيرة ، فليحذر كل
 منكم أن يكون من صرعى " .

سحبان وائل

هو سحبان بن زفر بن اياد من بنى وائل بن ربيعة ويعرف أيضاً
 باسم سحبان وائل الباهلى ، ولد ونشأ في الجاهلية ولكن لم يبلغ أشدده إلا في

الإسلام ، واتصل بمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، ونال لديه حظوة كبيرة يوم كار
معاوية واليائمه لما أصبح خليفة ، وكان يطلبها إذا جاءه وقد دعته الضرورة
إلى إلقاء خطبة مناسبة جامعة .

وكان سحبان خطيباً غمراً البديهة قوى العارضة متصرفاً في فنون
الكلام طويلاً النفس يتكلم ساعات مطوالاً فلا يتردد ولا يتلعثم ولا يفتر ، وقد
ضرب به المثل في القدرة على الخطابة ، وسمى خطيب العرب وهو بعد ذلك
من الحكماء المشهورين والفصحاء البلغاء ، وكان لا يخطب إلا بمخصصة
ترضيه وكانت له مخاصص كثيرة وخاصة به .

واشتهر سحبان وأئل بخطبته الشوهاء عند معاوية ، وقيل لها
الشووهاء من حسنها ، وكان لسحبان شعر قليل على أن الذى وصل إلينا من
آثاره كلها نزري سير جداً ، توفي سنة ٥٤ هـ .

نموذج من خطبته

إن الدنيا دار بلاغ ، والآخرة دار قرار ، أيها الناس فخذوا من دار
ممركم إلى دار مقركم ، ولا تهتكوا أستاركم ، عند من لا تخفي عليه أسراركم
وأخرجوا من الدنيا قلوبكم ، قبل أن تخرج منها أبدانكم ، ففيها حبيتكم ولغيرها
حلاقتم . إن الرجل إذا هلك قال الناس ما ترك ؟ وقالت الملائكة ما قدم .
فقدموها ببعضها يكون لكم ، ولا تخلعوا كلاماً يكون عليكم .

قطري بن الفجاءة

كان قطري بن الفجاءة فارساً شجاعاً مقداماً و كان خطيباً وشاعراً
ومر ذكره و نموذج شعره في باب سابق ، أما خطبه فأكثرها في الحث على

التفوى والتزهد في الدنيا قتل في سنة ٧٨ هـ خطب يوماً فقال .

" أما بعد ! فإنني أحذركم الدنيا فإنها حلوة خصوة حفت بالشهوات و راقت بالقليل غرارة ، ضرارة ، خوانة غدارة لا خير في شيء من زادها إلا التفوى ، من أقل منها استكثر مما يؤمنه ، ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه وبهلكه " .

الحجاج بن يوسف الثقفي

ولد الحجاج بن يوسف الثقفي في سنة ٤٢ هـ في مدينة الطائف ونشأ في أسرة مثقفة متعلمة كان هو وأبوه وأخوه معلمين في الطائف ثم إن الحجاج ترك التعليم والتحق بالجيش الأموي وما زال يترقى في مرتبته حتى أسند إليه الخليفة عبد الملك بن مروان قيادة جيش لحاربة عبد الله بن الزبير في مكة وانتصر الحجاج عليه ، ثم وله عبد الملك على الحجاز واليمن ثم أضاف إليه الولاية على العراق ، وأقر الحجاج الأمن في العراق وسفك دماء طائفة منعارضي الحكم الأموي وأسر عدداً كبيراً منهم ولم يستثن من ذلك طائفة من الصحابة رضي الله عنهم أيضاً ولا تابعيهم البررة ، وكان الحجاج قائداً قاسياً شديداً .

قد امتاز بالخطابة فقد جمع بجميع خصائص عصره فيها من حرالة اللفظ ومتانة التركيب وقصر الجمل والموازنة بينها مع قلة السجع والصناعة في خطبه وكان يقتبس من القرآن الكريم والشعر والأمثال توفي في سنة ٩٥ هـ .

نموذج من خطبته

" إني والله يا أهل العراق ومعدن الشقاوة والنفاق ومساوي الأخلاقي " .

ما يقعع لى بالشنان ولا يغمز جانبي كتعمار التين ، ولقد فررت عن ذكاء
وافتشت عن تجربة وجريت إلى الغاية القصوى، وإن أمير المؤمنين - أطال الله
بقاءه - نثر كنانته بين يديه فعجم عيادتها فوجدنى أمرها عوناً وأصعبها
مكسرا فرملاكم بى لأنكم طالما أوضعتم فى الفتنة واصطجعتم فى مراقد الضلال
وستنتقم سنن الغى .

ما والله لأحونكم لحو العصا ولأقرعنكم قرع المروءة ولأعصبكم أعصب
السلمة ولأضربكم ضرب غرائب الابل فإنكم لكاهل" قرية كانت آمنة
مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان ، فكفرت بأنعم الله ، فأذاقها الله
لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون " وإنى والله لا أعد إلا وفيت ، ولا أهنم
إلا أمضيت ، ولا أخلق إلا فريت وإن أمير المؤمنين أمرنى بإعطائكم أعطياتكم
وأن أوجهكم إلى محاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة وإنى أقسم بالله لا
أجد رجالا تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا ضربت عنقه " .

الحسن البصري

كان الحسن بن يسار البصري من رواة الحديث وقصاصاً واعطاً
وخطيباً قيل فيه " أخطب الناس صاحب العمامة السوداء " أى الحسن
ال بصري كما كان فصيحاً بليغاً بارعاً في اللغة وفقه تقىاً زاهداً واسع الحلم
حسن الأخلاق ، كان " يسار " والده قد سبى في جنوبى العراق في أيام الفتوح
ثم جنى به إلى المدينة فأسلم وأصبح مولى لزيد بن ثابت الأنبارى .

وولد له الحسن البصري في المدينة في سنة ٢١ هـ وهو أبو سعيد
الحسن بن يسار البصري نشأ في شمال الحجاز ثم انتقل إلى البصرة وولي

فيها القضاء ومن تلاميذه واصل بن عطاء مؤسس مذهب الاعتزال . اعتزل عن
أستاذه فسمى مذهبة اعترالا . وخطب الحسن البصري في نهى قتال المسلمين :
"أيها الناس الزموا رحالكم ، وكفوا أيديكم ، واتقوا الله مولاكم ،
ولا يقتل بعضكم بعضاً على دنيا رائلة وطعم فيها يسير ليس لأهلها بباب ، ليس
الله عنهم فيما اكتسبوا براض ، إنه لم يكن فتنه إلا كان أكثر أهلها الخطباء
والشعراء والسفهاء ، وأهل التيه والخيلاء ، وليس يسلم منها إلا المجهول الخفي
والمعروف التقى " .

وللحسن البصري كلام بلية في الموعظة والتبيير بالحق ، توفي أول
رجب سنة ١١٠ هـ .

الفصل الثاني

الكتابة والترسل

كان العرب في عهد جاهليتهم يقتصرن بالكلام الشفهي ولم يكونوا يلجأون إلى الكتابة إلا نادراً، وذلك عند حاجتهم إلى كتابة عقود أو إرسال رسائل وذلك في حالات محدودة فقد كانت حياتهم بسيطة وبدوية، مفككة وحداثها الاجتماعية وكانوا أميين لا يعرف الكتابة إلا أهداهم فكانوا يكتفون بقول الشعر ويتناشدون به، ويعبرون به عن مشاعرهم وتصوراتهم كانوا يستخدمون الخطابة عند حاجتهم إلى الحاج أو البلاغ والرواية لنقل حوادثهم الماضية أو وقائعهم المهمة والشعر الذي قيل فيها و كانوا يقومون بالوصية لإعطاء النصيحة والإرشاد الفردي وكل ذلك كان يكفيهم فيه الكلام الشفهي.

ولما جاء الإسلام وقام نظامه الاجتماعي اقتضى الأمر مع الخطابة إلى الاستعانة بالكتابة أيضاً وبخاصة لتوسيع أطراف الحياة الاجتماعية واقتضاء شؤون تتصل بالمعاملات.

وبدأت الكتابة في إطار الرسائل بصورة أوسع، وكان أسلوبها موافقاً لأسلوب الخطبة والوصية، تصبح الرسالة بذلك كأنها خطبة مكتوبة، يتصف أسلوبها بجزالة اللفظ وفخامة التراكيب مع الموارنة والاختصار.

والبدء بالبسملة والتحميد ، واقفا عند العرض حاليا من التطويل والتحميد
والمبالغة .

وبقيت كتابة الرسائل على هذا المنهج في صدر الإسلام وفي أوائل
العهد الأموي إلى أن ولى الخلافة وليد بن عبد الله فأمر بتجويد القراءات
وتخفيم الخطاب وألا يكاتب بما يخاطب به السوق ، وجرى العمل على ذلك
من بعده حتى استخلف عمر بن عبد العزيز ثم يزيد بن عبد الله فحملهما الورع
ومقت البدعة على الرجوع بالكتابة إلى نهج السلف ، فبقيت الكتابة على ذلك
مع شيء من الأخذ من التطور والتحسين إلى أن جاء عبدالحميد بن يحيى
كاتب مروان بن محمد آخر خلفاء بن أمية ، فأسهب في الرسائل ونمطها
ورفقها وأطال التحميدات في أولها .

كان الكاتب في أيام الخلفاء الراشدين شخصا يختاره الخليفة
ويجعله في بطانته ، أما في الدولة الأموية فقد أصبح للكتابة مناصب جعل لها
ديوان خاص ، وأصبحت الكتابة قبل أن ينقضى العصر الأموي صناعة ذات
قواعد وأصول ، وكثير الكتاب وأصبحت لهم آداب نصّحهم بها عبدالحميد بن
يحيى في إحدى رسائله وذكرها بإسهاب ، وهو كاتب يعد إماما في هذا الفن
لتطويره له وتقعيد بعض أساسه .

عبدالحميد بن يحيى الكاتب

هو أبو غالب عبدالحميد بن يحيى بن سعد ، وكان سعد مولى لأحد
بني عامر بن لؤي بن غالب فكان عبدالحميد مولداً من أصل فارسي أو أرامي
ولد في سنة ٦٠ هـ بمدينة الأنبار في العراق ، ثم انتقل أهله إلى الرقة بالشام

وكانت نشأته هناك ، واشتغل عبدالحميد في أول الأمر بتعليم الصبيان ، وتعلم صناعة الكتابة ، فكتب ليزيد بن عبد الملك ، ثم اتصل بمروان بن محمد واشتغل بالكتابة له إلى نهاية خلافته ، ولما انهمز مروان بن محمد وانتهت به الخلافة الأموية كان عبدالحميد في من قتل من أشياعبني مروان وكان مقتله مع مروان بن محمد في سنة ١٣٢ هـ .

كانت ثقافة عبدالحميد بن يحيى في العلوم الإسلامية والعلوم العربية واسعة ، وكان يعرف الفارسية واطلع على بلاغتها وأدابها ، ويظهر أنه استفاد منها لصالح الكتابة العربية كذلك .

كان عبدالحميد بن يحيى أول من هذب فن الترسل ، ورقاه إلى صناعة وكانت طريقة تتفق مع القديمة في الرشاقة والجزالة ، وتخالف عنها في الأسلوب والوضع ، فأصبح بذلك إماماً للكتاب وزعيمًا للطبقة الأولى من طبقات الكتابة الأدبية وفن الترسل ، وكان يُعرف بفضل سيدنا على بن أبي طالب رضي الله عنه في الكتابة على نفسه ويرى نفسه تلميذاً له .

وكان من خصائص أسلوب عبدالحميد تنوع الخطاب موافقة لخاطبه والإيحاز والإطناب مراعاة لمقتضى الحال والتفنن في البدء والختام مطابقة للغرض وإطالة التحميدات في صدور الرسائل غير أن أسلوبه لم يخرج في ابتكاره وتجويده من الإطار العربي القديم ومن غلبة خصائصه وطريقته بوجه عام . ولقد بنى أساسه على استفادته من رسائل سيدنا على عليه السلام وكان يُعرف بذلك .

وقصر عبدالحميد جهوده على كتابة الرسائل منها مأهلي مطولة مفصلة ومنها مأهلي مختصرة قصيرة .

ومن رسائله المختصرة رسالة كتبها وهو من هزم مع مروان بن محمد في إحدى حروبها الأخيرة .

" أما بعد ! فإن الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالكره والسرور ، فمن ساعده الحظ فيها سكن إليها ، ومن عصته بناها ذمها ساخطا عليها ، وشكاهما مستزيداً لها ، وقد كانت أذاقتنا أفاويق استحللينها ثم جاحت بنا نافرة ، ورحمتنا مولية ، فملح عنديها وخشن لينها فأبعدتنا عن الأوطان وفرقتنا عن الإخوان ، فالدار نازحة والطير بارحة وقد كتبت والأيام تزيدنا منكم بعدها ، وإليكم وجدا ، فإن تتم البليمة إلى مدتتها يكن آخر العهد بكم وبنا ، وإن يلحقنا طفرجاح من أظفار عدونا نرجع إليكم بدل الأسار والذل شرجار ، نسأل الله تعالى الذي يعز من يشاء ، ويذل من يشاء أن يهب لنا ولكم ألفة جامعة في دار آمنة تجمع سلامة الأبدان والأديان ، فإنه رب العالمين وأرحم الراحمين " .

وله رسالة مفصلة في وصف الصيد ومنها :

" وأطال الله بقاء أمير المؤمنين مؤيداً بالعز ، محفوفاً بالكرامة ، ممتعنا بالنعمة ، إنه لم يلق أحد من المقتنيين ولا منع متطرف من المصيدين إلا دون ما لقانا الله به من اليمن والبركة ، ومنحنا من الطفر والسعادة في مسيرنا من كثرة الصيد ، وحسن المقتني وتمكن الجاسة وقرب الغاية وسهولة المورد وعموم القدرة " .

والرسالة ضافية طويلة فيها ذكر مفصل عن وقائع الصيد إلى أن يقول في آخرها : " حتى امتلأت أيدينا من صنوف الصيد والله المنعم الوهاب " .

الفصل الثالث

التوقيعات والروايات

التوقيعات :

هي فقرات كان يكتبها الوالي أو نائبه على عرائض أهل الطلب والشكوى ، وتكون متصفه بالإيجاز البليغ وروعة المعنى ، وقد بدأت منذ صدر الإسلام فقد وردت من الخلفاء الراشدين ثم من خلفاء بنى أمية وهي تشبيه في شكلها العام جمل الأمثال والحكم .

نماذج من التوقيعات :

وقع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعد بن أبي وقاص في بن bian يبنيه ، "أين ما يكثـر من الهوا جـرـوـأـنـىـ المـطـرـ" وقع إلى عمرو بن العاص "كن لرعايتـكـ كـمـاـ تـحـبـ أـنـ يـكـونـ لـكـ أـمـرـكـ" وقع على بن أبي طالب كرم الله وجهه إلى طلحـةـ بنـ عـبـدـ اللهـ ، "فـيـ بـيـتـهـ يـؤـتـىـ الـحـكـمـ" وقع في كتاب الحسن بن على رضي الله عنه ، ورأى الشيخ خير من جلد الغلام " وقع في كتاب سلمان الفارسي رضي الله عنه وسئلـهـ كـيـفـ يـحـاسـبـ النـاسـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ " يـحـاسـبـونـ كـمـاـ يـرـزـقـونـ".

ووقع عبدالملك بن مروان في كتاب أتاه من الحجاج " جنبـنـ دـمـاءـ بـنـىـ

عبد المطلب، فليس فيها أشفاء من الطلب ، " وكتب إليه الحاج يخبره بسوء طاعة أهل العراق وما يقلسون منهم ويستأنف في قتل أشرافهم فوق له " إن من بين السائس أن يتآلف به المختلفون ومن شؤمه أن يختلف به المؤتلفون " .

الروايات والتدوين :

واقتضى وجود ثروة من الروايات الدينية والأدبية أن يجمع المهم المفيد منها في الكتب لتبقى للأجيال القادمة وليسفيد بها عدد أكثر كما أن الحفاظ بها يكون أسهل وأضمن ، وقد كان القرآن الكريم يجمع ويكتب بأيدي رجال قررهم رسول الله ﷺ لذلك وأراد بعض الصحابة أن يجمعوا أحاديث الرسول ﷺ ويكتبوها ولكن رسول الله ﷺ لم يشجع كتابة الحديث لثلا يختلط بالقرآن الكريم فاكتفى الصحابة رضي الله عنهم بروايتها الشفوية وكانت الأخبار والأحداث العربية أيضاً تنقل بالشفاه على الطريقة العربية ، وتتوسع وتتنوع التراث الديني والثقافي وشاء التعليم فاقتضى الأمر أن تحفظ الروايات الشفوية بالكتابة حتى لا يتشبه الأئم في المعرفة الدينية ولا يضيع العلم . فظهرت الاهتمام بذلك من أمراء المسلمين أولاً حيث افتربوا على علماء زمانهم بالاعتناء بذلك فبدأوا بهذا العمل في مجالات عديدة من الدين والمعرفة المقيدة ، واهتموا بالتدوين لجوانب من المعارف الأدبية والعلمية والدينية ، وتدرج العمل من البساطة إلى التوسيع أفضى إلى تكوين مكتبة واسعة للمعارف الدينية والأدبية من حديث وسيرة وتفسير وتاريخ . ومن علم اللغة والنحو والصرف وغيرها . كان من أوائل البادرين بالعمل محمد بن مسلم ابن شهاب الزهرى في الحديث وأبو الأسود الدؤلي في النحو والإعراب . وتدرج العمل فبرز أئمَّةً وعظاماء في تدوين النواحي المختلفة للدين ، الأدب والحكمة والثقافة .



الفهرس

كلمة المؤلف ٤-٣ بقلم المؤلف

القسم الأول

صدر الإسلام

المدخل إلى العهد الجديد ، الحياة العربية قبل ظهور الإسلام ، والوضع الاجتماعي ، الإطار الجمهوري ، الأهمية مع البراعة اللغوية والأدبية ، التمتع باللهوى والرغبات والنظرة إلى المرأة وطلب الشهرة ، السخاء والشجاعة ، طلب التأثير وإغاثة الملهوف ، الحالة الدينية ، ظهور الإسلام وتأثيره ، مبادئ دعوة الإسلام ١٧-٧

الباب الأول

أصول الأدب الإسلامي

الفصل الأول

تأثير الدين الإسلامي في حياة العرب

نظرة الإسلام إلى الأدب ، الروح الإسلامية للأدب ، اعتناء الصحابة بالشعر ،
المفهوم الإسلامي للأدب ، أهمية النثر في العهد الجديد ٢١-٢٧

الفصل الثاني

دعائم أدب العهد الجديد

الأدب المتأثر ، ظروف الحياة الجديدة ، القرآن الكريم ، أسلوب القرآن ،
طريقته بين الطريقتين ، جمال العبارة وعدوبية الصوت ، موافقته للنفسية
والوضع وتنوع عباراته حسب المقتضى والمعنى ، الفخامة والروقة ، الجمال

الصوتي والتناغم ، ضرب الأمثال ، تصوير المعانى والمشاهد ، الأقسام ، فروق
المعنى ودقائقها ، صوتية الألفاظ ، التشريع ، القصص ، الموعظة والهداية ،
تأثير القرآن في الأدب ٢٨-٣٩

الباب الثاني

الفصل الأول

النثر وأعلامه

نحو النثروقوته ، النثر الفنى في هذا العهد ، محمد رسول الله ﷺ وكلامه خير
نموذج لأدب النثر العربى ، كلامه نثر وليس شعرًا ، خصائص كلامه وأصنافه ،
أبرز أقسامه الأدبية ، أحاديثه ، مثيلاته ، خطاباته ، أدعيته ، أقواله
السائرة ٤٠-٥٠

الفصل الثاني

نصوص النثر الفنى للآخرين من هذا العهد

الخطابة ، أبوبكر الصديق ، سيرته وأخلاقه ، نموذج من خطبته ، عمر بن
الخطاب ، سيرته وأخلاقه ، نموذج لخطبته ، على بن أبي طالب ، سيرته
وأخلاقه ، الكتابة ، الرسائل والعقود والعقود ، الرواية ٥١-٦٥

الباب الثالث

الفصل الأول

(الف) الشعر في صدر الإسلام

شعراء هذا العهد ، نماذج شعر هذا العهد : في الحماسة والفخر والمديح ، في
الاعتذار والاستغتاب والعتاب ، في الغزل والشباب ، في الحكمة
والرثاء ٦٩-٨٢

الفصل الثاني

أعلام الشعراء وكلامهم

من شعراء الإسلام ، عبدالله بن رواحة ، نماذج من كلامه ، كعب بن مالك الأنصاري ، نماذج من كلامه ، حسان بن ثابت الأنباري ، نماذج من كلامه في الحماسة والفخر ، في رثاء الرسول ^٢ ، في الحكم (ب) من عامة المخضرمين الأعلام ، الحصين بن الحمام المري ، كعب بن زهير ، أبو ذئب الهذلي ، الخنساء ، الحطيثة ، النابفة الجعدى ١٠٣-٨٣

الفصل الثالث

عهد بني أمية

الباب الأول

أدب هذا العهد ، أسسه وأصنافه ١٠٧

الفصل الأول

العوامل والمؤثرات

الخلفية الاجتماعية والسياسية ، الحالة الاقتصادية والثقافية ١١٢-١٠٨

الفصل الثاني

أغراض الأدب وأقسامه

النثر ، الشعر ١١٦-١١٣

الفصل الثالث

نهضة جديدة للشعر

النهضة الشعرية ، المناطق الشعرية ، العراق ، الشام ، الحجاز ، تطورات جديدة للشعر ، الغزل الرقيق ، الشعر الجدلي ، النقائض ، التأثير الديني في الشعر ،
الرجن ١٢٣-١١٧

الباب الثاني

الشعر ورجاله في هذا العهد

الفصل الأول

الغزل

الغزل العفيف ، قيس بن ذريع ، قيس بن الملوح ، نموذج من شعره ، توبة بن الحمير وليلي الأخيلية ، تقول ليلي الأخيلية في رثاء توبة ، جميل بن معمر صاحب بثينة ، كثير بن عبد الرحمن صاحب عزة ، الغزل الإباحي ، عمر بن أبي ربيعة ، الغزل العام ، عدى بن الرقان العاملي ، ذو الرمة ، عروة بن أذينة ١٢٧-١٣٩

الفصل الثاني

أغراض أخرى

شعر السياسة والدين ، كعب بن جعيل التغلبي ، مسكين الدارمي ، شعر الأدب والحكمة والحماسة ، مسكين الدارمي ، المقنع الكندي ، سعد بن ناشب ، قطرى بن الفجاءة ، الرجز ، أبو النجم الرا جز ١٤٠-١٤٦

الفصل الثالث

شعر النقائض ، الأخطل ، نموذج من شعره ، الفرزدق ، نموذج من شعره ، جرير ، نموذج من شعره ١٤٧-١٥٨

الفصل الرابع

الطرماح بن حكيم ، نموذج من شعره ، الكميت بن زيد الأسدي ... ١٥٩-١٦٢

الباب الثالث

النثرورجاله

الفصل الأول

النثر في هذا العهد وأعلامه

**الخطابة ، أعلام الخطابة ، زياد بن أبيه ، خطبته ، سحيان وائل ، نموذج من خطبته ، قطري بن الفجاءة ، الحاج بن يوسف الثقفي ، نموذج من خطبته ،
الحسن البصري ١٦٥-١٧٣.....**

الفصل الثاني

الكتابه والترسل

عبد الحميد بن يحيى الكاتب وله رسالة مفصلة في وصف الصيد .. ١٧٤-١٧٧.....

الفصل الثالث

التوقيعات والروايات

التوقيعات ، نماذج من التوقيعات ، الروايات والتدوين ١٧٨-١٧٩.....



